٥٧١

571

HARLEQUIN

دارم النحاس

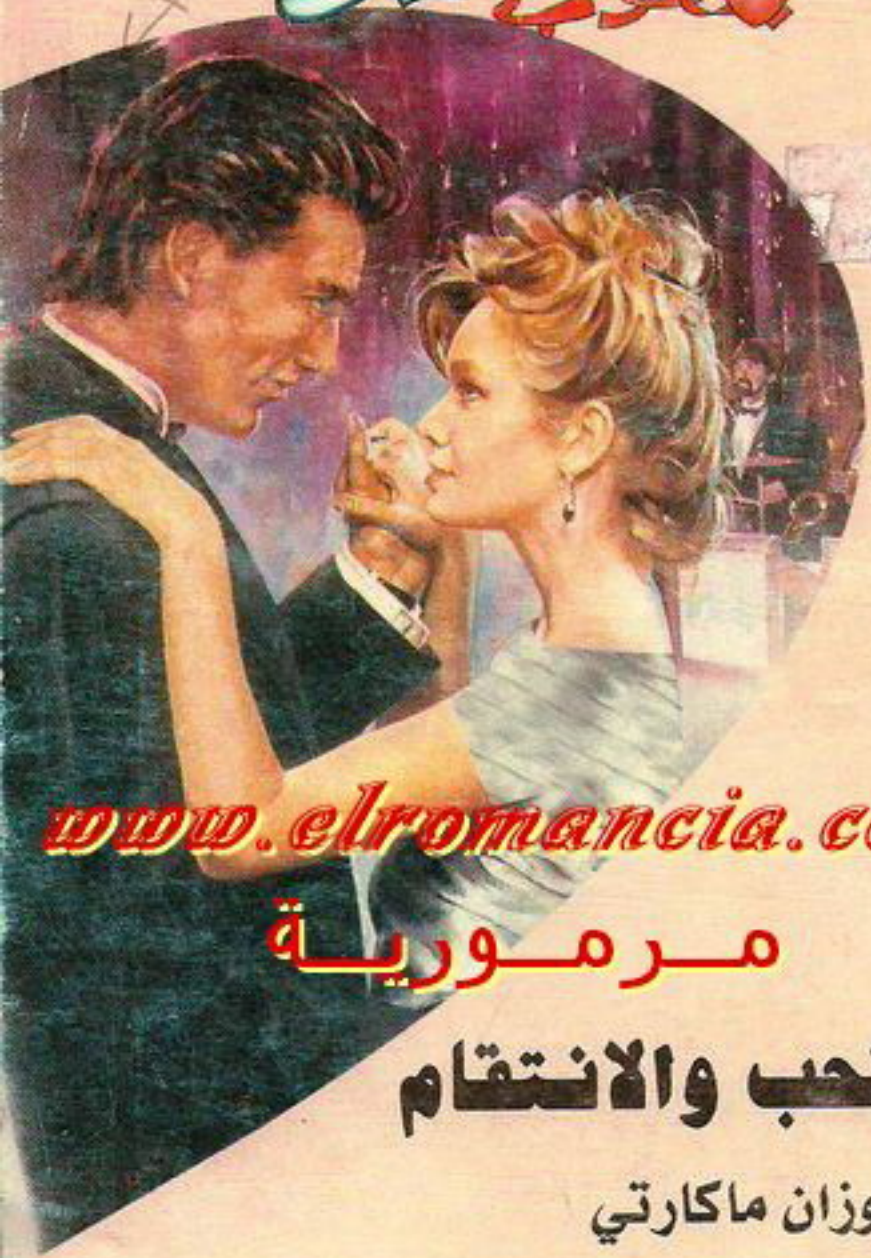

www.elromancia.com

مرمورية

الحب والانتقام

سوزان ماكارتي

الحب والانتقام

سوزان ماكارتي

«باستطاعة ابنتك ان تفي دينك في زواجها مني».

لم يكن هناك من طريقة لتمنع بيبا اهلها من المقايضة بها مع شوان مورغن الذي حصل على ثروة العائلة بينما اغرق والدها في ديون هائلة. الحل الوحيد كان زواجها منه. تحول انجذابها نحوه إلى شيء أعمق بكثير، لكنها كانت تعلم انه يحتقرها ولا يعتبر هذا الزواج سوى صفقة، الصفقة للحصول على مبتغاه من الانتقام...

www.elmaktabeh.com

سوريا: ٦٠ ل.س - الكويت: ٧٥٠ فلس - البحرين: ١ دينار - قطر: ١٠ دراهم - السعودية: ١٠ ريالات - الامارات: ١٠ دراهم - الاردن: ١.٥ دينار - المغرب: ٨ درهم مغربي - سلطنة عمان: ١ ريال - تونس ٢ دينار

«باستطاعة ابنتك ان تفي دينك في زواجها مني.»

«نظراً للإنقلابات غير المتوقعة في حياتي وظروفي، فوجود زوجة أمر ضروري لامهرب منه.» أكمل شوان حديثه بلهجة ساخرة قائلاً: «اريد واحدة تعرف كيف تدبر شؤون منزلي. وليس هناك افضل ممن عاش في المنزل طيلة حياته، كما ان وجود مضيفة لائقة لامفر منه. وبالطبع اني بحاجة لطفل يرثني فيما بعد.»

أحست بيبا برعشة في داخلها وأجابت: «اعتقد انك تحتاج خادمة تخدمك وتنجب لك في نفس الوقت.»

«لقد اصبت، فهذا ما احتاجه.»

سوزان ماكارتي

ترعرعت سوزان ماكارتي في جنوب لندن. لكن لطالما أحبت العيش في القرية وسرعان ماانتقلت للعيش في شروب شاير بعد زواجها في منزل على تلة حيث الحيوانات الأليفة. تحب سوزان السفر ولكنها تشعر بالحنين للعودة إلى منزلها، وبالإضافة إلى كونها كاتبة فهي تعمل في حقل تعليم الراشدين بنصف دوام.

٥٧١

khouloub Abir 571

الحب والانتقام

سوزان ماكارتي

دار
مؤسسة النحاس
للطبع و النشر و التوزيع
بيروت - لبنان

www.elromancia.com

الفصل الاول

«صباح الخير ياآنسة بيبا، استمتطين هذا الجواد الصغير؟ كوني حذرة فهو نشيط اكثر من اللازم اليوم، هل تريدين المساعدة في وضع السرج عليه؟»

أجابت بيبا بابتسامة لطيفة:«شكراً ياميلر أستطيع تدبر أمري.»

تقع الاسطبلات إلى جانب المنزل، بعضها قد حول إلى موقف للسيارات منذ زمن بعيد والبعض الآخر بقي لسكن الجواد الرائع فيوري الذي يخص بيبا وفرس وآخر رمادي اللون توقف عن العمل منذ عدة سنوات لأنه اصبح مسناً وعاش حياة هادئة بين الحظيرة الدافئة والحقول الواقعة بمحاذاة الممر.

كان ميلر يقوم بمعظم المهام الصعبة في الاسطبلات هذا بالإضافة إلى الاهتمام بالحدائق. أخرج ميلر ذلك الصباح الحصانين من الاسطبل حيث اتكأت بيبا على الباب تناديهما بنعومة.

قفز الحصانان بسرور راجين ان تكون بيبا قد جلبت لهما بعض الطعام.

ربتت بيبا على عنق فيوري بينما كان يأكل من التفاحة التي في يدها، فقالت:«أيها الشره، ألا تستطيع ان تكون مهذباً وانت تأكل.»

داعب الحصان المنذهل كتفها معتذراً عما بدر منه من

سوء تصرف. تناولت السرج واللجام من احدى الزوايا وقادته إلى باحة الحظيرة حيث أسرجته بسرعة واتجهت به نحو عتبة الامتطاء ثم امتطته بخفة بعد ان أوثقت شريط قبعتها.

كان فيوري مليئاً بالنشاط هذا الصباح فتركته يركض فرحاً لأنها كانت تشعر هي أيضاً هذا الصباح بالحيوية والنشاط، ولما خرجت من باب الاسطبل، توجهت به بسرعة نحو الحاجز العالي في السهل الواسع،فوثب فوقه بكل قوة ونشاط.

لكن ماذا لو شعر الناس بقلة تهذيبها واحترامها لركوبها الخيل يوم تشييع غراميس؟ تذكرت بيبا بمرارة قلة احترام أهلها لغرامبس في حياتها، صحيح ان التعامل معه كان صعباً في السنوات الأخيرة إذ ان عاهته أفقدته معظم قدراته العقلية، ولكن لو صبروا عليه قليلاً بدلاً من توبيخه لاستطاعوا التحدث والتفاهم معه.

لطالما تشاجرت بيبا مع أهلها لسوء معاملتهم لجدها، بالرغم من انه لم يكن جدها الحقيقي بل كان زوج والدة والدها. طبعاً هي لم تعرفه وهو اصغر سناً من ذلك، لكن لابد وانه كان رجلاً ذكياً ومميزاً، وقد شعرت بقوته الهائلة في تحويله لتلك الشركة الصغيرة التي ورثها عن والده، إلى شركة مورغن الضخمة، والمؤسف ان حياة غرامبس الخاصة لم تكن ناجحة أبداً.

لقد أجمع الكل على كون بيبا نسخة طبق الأصل عن

جدتها الجميلة التي زينت صورها جدران المنزل. لقد ورثت بيبا ملامح جدتها الرقيقة وبشرتها الناعمة وعينيها الزرقاوين وشعرها الذهبي الذي أنذر بطبع مماثل، ولكنها تمنت لو انها لم ترث طبع جدتها الأناني المتطلب والمغرور، والتي لم تكف عن تذكير العالم بأنها الليدي اليزابيت كوربت مورغن ابنة المركيز وزوجة البارون الاستقراطي المتحدر من سلالة عريقة.

أما زواجها من الشاب الصنائعي فلم يكن سوى وسيلة لتبرز نفسها اكثر.

عاش غرامبس حياته معها كالخادم تحت أمرتها، وكان قد تمنى ان يعيش عيشة هادئة بعد وفاتها منذ ست سنوات، لكن ابن اليزابيت نغص عليه حياته.

بينما كانت بيبا مسترسلة في أفكارها، فإذا بسيارة مسرعة تمر بجانبها تجفلها، فشدت لجام فيوري بقوة، الأمر الذي جعله يتراجع الى الخلف بضع خطوات، لكنها لم تستطع حفظ توازنها عليه فسقطت الى الأرض فيما بقي فيوري واقفاً مكانه مجفلاً.

قال لها الرجل بصوت عالي وغاضب:«ماذا فعلت، كدت تقتلين حصانك وأنت تشدين لجامه في عرض الطريق.»

قالت للرجل والشرر يتطاير من عينيها:«لم أتوقع وجود احد الأغبياء في الجوار، كما ان الطريق خاص لايحق لك المرور فيه بتاتاً!»

تحدّاها بنفس نبرة الغضب التي تحدته بها:«أطردني إذاً.»

عندما رفعت رأسها وقعت عيناها على شاب طويل القامة يرتدي الجينز وسترة زرقاء ولكنها لم ترتعب لضخامته.

«بالطبع سيطردك والدي أو الجنائني.»

كانت الأشواك قد مزقت سترتها الحرير، انحنى لمساعدتها ونظر اليها بكثير من السخرية والوقاحة، لكنها عندما وقفت تأكدت من طول قامته وشعره البني المتلألىء تحت ضوء الشمس وعظام وجهه الشبيهة بجدها، لكن سرعان ماتذكرت انه ليس لغراميس أقرباء إذ لم يزره أحد في حياته ولربما بعد وفاته بدأ الجميع يطمع بإرثه، تابع نظرته الساخرة متفحصاً سترتها الحريرية الممزقة.

«اعتقد انك بيبا الصغيرة؟» قال ذلك بتكاسل، واعتقدت في البداية انه اميركي او ربما كندي، ولكن كيف عرفت من تكون؟

أجابت بشك:«نعم، ولكن كيف عرفتني؟ فلم يسبق لنا وتعارفنا.»

«كلا لم نتعارف ولكنك تشبهين جدتك لحدٍ بعيد.»

وبالرغم من انه لم يقصد مدحها، اعتبرت بيبا ملاحظته اطراءً فشكرته.

«من تكون انت؟»

«أحقاً لا تعلمين؟»

أجابت بحدة:«طبعاً. فلو انني اعرف لما سألت.»

ضحك بسخرية وقال:«أنت بغيضة. ألم يحاول أحد ترويضك؟»

اجابته بنفس لهجته الساخرة:«لقد حاول الكثيرون لكنهم لم يفلحوا.»

«ليس بعد ياآنسة.»

ما قاله كان بمثابة تهديد ووعد في نفس الوقت، فشعرت بالغيظ الشديد منه وانحنت فوق فيوري تشغل نفسها به ومتسائلة كيف يجرؤ على مخاطبتها بهذه الطريقة، فلم يسبق لاحد أن عاملها بهذه الفظاظة من قبل.

«يبدو ان حصانك لم يتأذى، ماذا عنك، هل هناك أي جروح؟»

«كلا، لاشيء شكراً.»

قال وابتسامته الساخرة لا تفارق وجهه:«أنا مسرور لذلك، سأساعدك في امتطاء حصانك.»

فكرت بيبا بأنها إذا لم تقبل مساعدته فلن تستطيع امتطاء فيوري وعليها ان تعود إلى الحظيرة مشياً، ولكن على كل حال فهو لن يلمس سوى قدمها. ولما فتح يديه، لاحظت كتفيه العريضين وشعره الناعم، فجف حلقها وتساءلت عما إذا كانت قد التقت بمثل هذا الشاب في حياتها ولكنها سرعان ما اقنعت نفسها بالرفض من امكانية تأثيره عليها وعندما وضعت يدها على كتفه شعرت بحرارة قوية تنساب في داخلها.

مرّ بيده فوق عنق فيوري وقال:«حصان جميل ولكن أليس قوياً بالنسبة لك؟»

أجابت بفخر:«لا ابداً، أستطيع تدبر أمره جيداً.فيوري يقفز برشاقة، اصيل ويتحدر من أهم سلالة في المنطقة والتي كانت تكرس للصيد.»

www.elromancia.com

«كان من المتوقع ان تهتم واحدة مثلك بهذا النوع من الجياد.»

أرادت بيبا القول بأنه مخطىء في تقديره. فلطالما تشاجرت مع أهلها بسبب هذه الرياضة الوحشية ولكنها لم تشأ اطالة النقاش مع هذا الرجل.

حركت كتفيها دون مبالاة وقالت:«لايهمني رأيك على الاطلاق.»

ضحك ضحكة ساخرة وقال:«لا أتوقع ذلك، فأنت واحدة من الكوربت وهذا مايجعلك غير مبالية لأي رأي آخر.»

قالت بازدراء وبعجرفة:«ماذا تعرف عن أهلي؟»

«أعرف الكثير مما قد يدهشك.»

أضافت بيبا بلا مبالاة، وقررت ألاتبدي اهتماماً ماإذا عرّف عن نفسه:«هل تعتقد ذلك؟»

«قولي لي اتشمئزين مني لأنني لم أتعلم في مدرسة راقية أو بسبب لهجتي الغريبة.»

نظرت اليه ببرودة شديدة وقالت:«ولماذا يهمك الأمر؟»

«آه... أود أن أتأكد من اني لم أفقد رونقي.» قال ذلك وقد لمعت عيناه بسخرية.

أجابت بسخرية تماثل سخريته:«أنا متأكدة من انها ستكون تجربة جديدة بالنسبة لك فمن الواضح ان كل من تعرفت عليه من نساء اعجبن بك منذ النظرة الأولى.»

«ليس تماماً، لكني كنت أحصل على ما أريد بسرعة وأتساءل كم من الوقت سيطلبني أمرك.»أمسك لجام فيوري مانعاً بيبا من الهرب فخفق قلبها بسرعة وحاولت تحاشي النظر في عينيه.

«لوكنت مكانك لما أضعت وقتي، فأنت لست من الصنف الذي يعجبني.»

ابتسم ببطء وعلّق بالقول:«عليك أيتها الطفلة ان تتعلمي كيفية معاملة رجل مثلي،فقد يصبح الأمر لايقاوم.»

«لاتناديني بالطفلة وأبعد يدك عن حصاني.»

«مايبدو لي هو العكس تماماً، يجب ان أضع يدي على حصانك.»

«حسناً ولكنه لن يكون ملكك.»

«سوف نرى، إلى اللقاء الآن.»

تركها بينما نظراته الساخرة ملأتها غيظاً ولم تشعر كيف اندفعت بفيوري بسرعة فقفز عالياً ولكن سرعان ماتمالكت أعصابها وأعادته إلى هدوئه.

فصرخ عالياً:«أراك لاحقاً.»

«هذا إذا رأيتك أولاً.»

«يالك بعوضة! لقد توقعتك شيئاً أفضل.»

وبعد ان هدأت تذكرت انه لم يعرف عن نفسه، وتذكرت ان لغرامبس شقيق واحد لم ينجب اولاداً، وقد توفي في الحرب العالمية الأولى. تساءلت بيبا كم من الذئاب سينقضون عليهم للسؤال عن ماتركه جدها من املاك لكنها لم تدع هذه الفكرة تنغّص عليها نزهتها، فأكملت طريقها مع فيوري محاولة الاستمتاع بالطقس المنعش والطبيعة الخلابة.

دامت نزهتها لاكثر من ساعة محاولة التخفيف عن نفسها كي تستطيع حضور مراسم دفن غرامبس. أعادت فيوري إلى باحة الاسطبلات وتركته يلهو مع ليدي

لبقية النهار، ثم عادت إلى البيت لتستحم ولتجهز نفسها.

عندما نزلت إلى المكتبة سمعت صوت والدها يتحدث مع المحامي غيبون.

«أرجوك لاتكون حازماً وراجع الأوراق فلابد من وجود وصية ما.»

«أناآسف سيد تشارلز، ولكن حاولت جاهداً إقناع السيد غرامبس بكتابة الوصية، لكنه لم يقتنع حتى اعتقدته يتعامل مع محام آخر ولكن بعد البحث والتدقيق، اكتشفت ان زوج والدتك، لم يفعل ذلك ولا مع اي محام آخر.»

«ذلك العجوز الغبي اراد على سابق تصّور وتصميم ترك كل شيء في فوضى عارمة، ولكن سيكون بامكانك ان تجني بعض المال ياسيدي المحامي لو حاولت تسوية الأمر، هل التركة ستؤول بأكملها الى العائلة النبيلة.»

«كلا ياسيد تشارلز فستجري الأمور تبعاً للأحكام القانونية وستوزع ايضاً تبعاً لما ينصه القانون.»

وعندما اقتربت بيبا اكثر تمكنت من رؤية ذلك الرجل الذي يجلس على الكرسي خلف الباب فتعجبت وتساءلت كيف ان والدها يسمح له بالدخول، لكنها اخبتأت لتسمع بقية الحديث.

«سيد تشارلز في حال عدم وجود وصية تعود التركة للأولاد.»

«حسناً.»

«ولكن عفواً سيدي، أقصد الأولاد الشرعيين وليس أولاد الزوجة، إلا إذا كان هناك تسجيل شرعي للأولاد.»

«تباً، لم أسمع بمثل هذا الشيء من قبل.»

ادركت بيبا الآن من يكون ذلك الغريب ولم تعد تعجب لذلك التشابه بغرامبس. ولكن هل كانت تعرف جدتها بأمره؟

«إذا كنت تعتقد بأنك ستحصل على كل شيء فالموت أقرب لك.» صاح السيد تشارلز بالرجل الجالس على الكرسي ببرودة اعصاب.

لكن الرجل اجاب بهدوء شديد:«رويداً، فمثل هذه الأمور تسوى في المحكمة ومن الواضح انك لاتفهم أي شيء فيما يختص بالقانون الانكليزي.»

«حسناً، ولكن عليك ان تبرهن انك ابن غرامبس في المحكمة ولن يكون هذا سهلاً.»

«لقد سجلني والدي قانونياً ومنحني اسمه منذ ساعة ولادتي.»

«هذا لايعني شيئاً، فكونه قد أعطاك اسمه وأنت مجهول الوالدة لن يفيد بشيء.» وبدأ يتحرك في كرسيه بتوتر، ثم قال نبرة غاضبة:

«ولو انني لاأملك هذا المنزل لقذفتك أرضاً ولكني لاأريد تحطيم ما فيه. واذا كنت لاتريدني ان احطمك في الخارج، اقترح عليك ان تحزم امتعتك وتأخذ مايحق لك قانونياً ثم ترحل.»

احست بيبا بالخوف من جراء ماقاله والدها، وفكرت بانها لن تترك هذا الشاب الغريب ينال مايريده بكل هدوء.

«عذراً سيد غيبون...» واستدار يواجه والدها وهو يتابع:«عليّ ان أرحل قبل ان ارتكب شيئاً أحمق اندم عليه.»

لم تستطع بيبا الابتعاد عن الباب في الوقت المناسب، إذ انه خرج مسرعاً ومرّ بمحاذاتها وهو يرمقها بنظرة باردة مزدردة.

جلس والدها متهالكاً على الكرسي وقالت متوعداً: «سأحاربه حتى آخر دقيقة فلا بد ان يكون هناك شيئاً بامكاننا فعله.»

اجابه المحامي موضحاً:«أخشى ان يكون من المستحيل ذلك فليس للمحكمة أي نية في تغيير قانونها، إلا إذا كان المدعي بحاجة ماسة إلى المال وهذا أيضاً لن يساعده كثيراً فلن يحصل إلا على مبلغ بسيط لسد حاجاته اليومية.»

قال السيد تشارلز عند ذلك:«حسنا، حسناً... دعني من هذا الهراء، انه يعتقد بأن تسوية هذا الامر سهل جداً. سأرى محام في لندن فلا بد من وجود حل ما.»

«عفواً سيد تشارلز ولكنني أؤكد لك ان...»

توقف عن الكلام عندما فتح الباب فجأة ودخلت منه هيلينا زوجة تشارلز بأناقتها المعتادة: «آه... أنا آسفة يازوجي العزيز، اعتقدت ان السيد غيبون قد خرج وأتيت لأستطلع سبب الأصوات المرتفعة.»

«لقد رحل، أدخلي أرجوك، اعتقد انه سيحصل على كل شيء.»

«كل شيء، أتقصد ان هذا الشاب سيأخذ كل ماتركه غرامبس ولن يترك لنا شيئاً؟»

«لم يترك غرامبس أي وصية، وحسب القانون سيحصل هذا على كل شيء تقريباً.»

«لكن لماذا فعل ذلك، فلطالما اعتنيت به في السنوات الأخيرة وعندما فكرت بإدخاله بيت المسنين طردت الفكرة من رأسي وقررت ان أبقيه هنا.»

«كنت أتوقع منه شيئاً مماثلاً، يا له من عجوز ناكر للجميل ولكنني سعيد لأن والدتي ليست على قيد الحياة لترى مافعل. فلطالما عانت من وقاحته.»

«لو انني كنت اعرف تلك المرأة التي احبها، وانجب منها هذا اللئيم، فلما كان حصل كل ذلك.»

نظرت بيبا الى والديهاواحست بأنها ستعمل كل مافي وسعها لمساندتهما فقط لتربح البيت وتهزم ذاك الشاب الوقح.

خطت بيبا نحو داخل الغرفة وقالت:«مرحباً.»

استدار والدها مندهشاً حين سمع صوتها وقال لها:«اعتقدتك تمتطين الجواد في الخارج.»

«عدت منذ لحظات، ولكن من يكون هذا الشاب فلم أره سابقاً.»

نظرت اليها والدتها بعطف واجابت:«لو كنت موجودة هنا وسمعت ماقاله لعرفته، والدته كانت سكرتيرة جدك ولاأعرف كم مضى على علاقتهما فقد كان في الخمسين من عمره عندما انجب هذا الشاب.»

«وماذا حصل للمرأة؟»

اجابها والدها:«لقد اعتنى بها جدك جيداً قبل مماتها، اي منذ خمسة عشر عاماً، وبعدها سافر

شوان إلى كندا، اعتقدت اننا لن نراه أبداً لكنه عاد ليحرمنا من التركة.»

لقد راقها اسم شوان، لابد انه في الخامسة والثلاثين إذا ما ولد عندما كان جورج في الخمسين، لقد ورث البيت والشركة وكل ماتركه والده تماماً كما أراد.

ستشعر بيبا بالأسف لتركها كليرمونت، ذلك البيت الجميل الذي ترعرت بين جدرانه الرخامية وحدائقه الواسعة، لكنها أرادت أن ترى والدها منكسراً إذ انه لايستحق قرشاً من أموال مورغن الذي لم يلق المعاملة الحسنة من والديها.وتأسفت بيبا على معاملتها السيئة لشوان ولكن الوقت مازال أمامها وباستطاعتها تهدئة الأمور وكسب وده.

الفصل الثاني

علّق تشارلز برضى تام بينما انطلقت السيارة الفخمة نحو ساحة القرية:«كل شيء سار بهدوء، تماماً كما أراده جورج.»

تدخلت بيبا قائلة ببرود:«تقصد تماماً كما أردته أنت عندما اعتقدت انك سترث كل شيء، ولو عرفت ان شوان سيرث، لكنت تدبرت امرك منذ البداية.»

اعترضت والدتها قائلة:«أرجوك ياعزيزتي فيليبا، لا تبدأي بالجدال مع والدك في مثل هذه المناسبة.»

اجابت بيبا:«انه لم يحزن لوفاة غرامبس على الاطلاق، وكل مايفكر به هو ابعاد شوان عن طريقه.»

أكد والدها بغطرسة واضحة:«سأفعل يابيبا،أؤكد لك ذلك يابنتي.»

اجابت بيبا:«آه، اجل كيف؟»

«سيكون الأمر صعباً بعد ان برهن انه يملك كافة الدلائل التي تثبته ابناً لغرامبس، وستواجه الصعاب الكثيرة لتثبت عكس ذلك ياوالدي.»

ادارت وجهها لتنظر من نافذة السيارة، لمحت شوان من النافذة يقف أمام القبر تماماً كما كان في الدفن، حينها لم يهتم لأهلها ولا حتى لها إلا عندما رمت باقة الورد على ضريح غرامبس.

www.elromancia.com

كان يبدو مختلفا في سترته الرمادية الأنيقة التي لم تخف وسامته الواضحة.

كما انه يشبه غرامبس كثيراً والجميع قد لاحظ ذلك وقريباً سيعرفون من يكون.

تساءلت بيبا عن نوع الحياة التي كان يعيشها في كندا، وعن نوعية عمله، ربما كان يصله المال من والده، ولكن هذا مستحيل فلو عرفت جدتها ذلك، لكانت قطعت عنه الامدادات.

لقد كان محقاً في كره جدتها ولكن ماكانت تخشاه، هو ان يفهمها أو يراها بنفس المنظار.

حضر الى منزلهم معظم من حضروا مراسم الدفن، بعضهم مدراء في شركة مورغن التي كانت تخص غرامبس، والبعض الآخر ممن ادعوا انهم من اصدقاء العائلة.

تصرفت بيبا كمضيفة لائقة كالعادة، فدارت بين الموجودين تتقبل التعازي، أما والدتها فقد اهملت الضيوف ودخلت المطبخ وهي تشعر بالجوع الشديد.

فجأة فُتح الباب ودخل شوان وبصحبته المحامي غيبون الذي بدا مُحرجاً لتورطه في مثل هذا الوضع الخطير.

التفتت بيبا إلى والدها لترى إذا ما كان سيتمالك نفسه ولن يفتعل شيئاً امام هذا الجمع، فهي تعرفه حق المعرفة، فمتى غضب ينسى كل مايختص بالأدب والتهذيب.

كان لشوان التأثير الكبير على الجميع ساعة دخوله.

ثم قال لهم:«صباح الخير وشكراً على مجيئكم جميعاً.»

تابع حديثه يكلم بيبا:«أتمنى أن تكوني قد تعافيت مماحصل لك صباحاً.»

«شكراً، لقد تعافيت كُلياً. فقد كان غباءً مني ان امتطي فيوري في عرض الطريق، لحسن الحظ لم يحصل أي سوء.»

«ان الحظ كان حليفي أنا.»

لقد هزأ منها ولكنها لم تتوقع ان يذكرها بما حدث، فالتفتت إلى المحامي وسألته ماذا يود ان يشرب فإذا بوالدها يقترب بخطوات مسرعة.

ثم قال بحدة:«آه ياغيبون، لم تستطع الانتظار فجئت مسرعاً لتتأكد اننا لن نأخذ مالا يخصنا.»

رد شوان بسرعة:«لم اعتقد انك ستفعل شيئاً من هذا القبيل، فلو فعلت، تكون قد سرقت، أليس هذا صحيحاً؟»

أكد المحامي وقد شعر بالاحراج:«آه... تماماً.»

أجاب السيد تشارلز بنبرة لاذعة:«حسناً، لاتبدأ بالعد فالمعركة لم تبدأ بعد.»

قال شوان:«على العكس، لقد ابلغني السيد غيبون بأنه لن يكون هناك اية صعوبة في الحصول على الأوراق القانونية وفي غضون اسبوعين لا أكثر، أما إذا كنت تنوي التدخل فاقترح عليك إعادة النظر في الموضوع.»

شعر السيد تشارلز بالغيظ الشديد وبأنه قد ينفجر في اية لحظة، إذ كل من في الغرفة قد سمع ما دار

بينهم من حديث سوى زوجته التي كانت ماتزال في المطبخ.

كان شوان في هذه الاثناء يبتسم ابتسامته الساخرة، وناول الكوب الى بيبا قائلاً:«حسناً، لقد قدمت التعازي وعلي الذهاب. سيد غيبون إذا كنت ذاهباً في طريقي، سأكون ممتنا جداً لو انك توصلني.»

«طبعاً، طبعاً ياشوان.»

«شكراً آنسة كوربت على حسن ضيافتك، اتشوق الى رؤيتك مجدداً.»

تسمرت بيبا في مكانها للحظات تحدّق به وهو يبتعد، ثم استدركت ولحقت به بعد ان وضعت الصينية على الطاولة.

«انتظر شوان أريد ان اعتذر عما بدر من والدي هذا الصباح، فقد كان عملاً غير لائق منه.»

نظر اليها بتعجب ملؤه السخرية والاستهزاء ثم قال:«حسناً، ياآنسة كوربت ولكنه انقلاب سريع في تصرفاتك تجاهي، وهذا مايجعلني اتساءل، هل تحاولين لعب الدور الذي لعبته انا.»

نظرت اليه بذهول تام وقالت:«أنا... أنا لا أفهم ماذا تقصد.»

ضاقت عيناه بحدة وهو يقول:«ألا تعرفين حقاً؟ ان الكوربت لم يهتموا لأحدٍ ممن لا ينحدرون من سلالتهم النبيلة، إلا إذا احتاجوا له مادياً، وجدتك كانت مستعدة أن تفعل المستحيل لتحصل على مال والدي. ألم تفكري في تبني فكرتها؟»

جاءت كلماته اللاذعة بمثابة صفعة على وجهها، فقالت معترضة:«كيف تجرؤ على اتهامي بهذا الأمر، فانا لن أفكر بك يوماً.»

أمسك ذقنها بيده وأخذ يدير وجهها يميناً وشمالاً يتفحص كل زاوية فيه كأنه ضمن التركة التي سيرثها قائلاً:«لابأس بك، كل شيء فيك كوربت، وقد يكون من الممتع تحطيم كبريائك مع الأيام.»

ابعدت يده عن وجهها وقالت:«لن تُسنح لك الفرصة.»

«أتعتقدين ذلك، سوف نرى. لقد تكونين وسيلة جيدة للثأر من عائلتك وجدتك التي منعت والدي من إعالة والدتي التي اشتغلت ليلاً ونهاراً حتى ساعة مماتها. لم أعرف والدي يوماً ولم ألمحه سوى مرة منذ خمسة عشر سنة في دفن والدتي.»

اردفت بيبا بعناد:«المشكلة مشكلتك، فأنت من قرر الرحيل إلى كندا.»

«فعلت ذلك لأن جدتك تضايقت مني وراحت تعكّر صفو حياة والدي.»

اشارت بيبا عند ذلك:«كان باستطاعتك زيارته سابقاً، فلقد توفيت جدتي منذ ست سنوات.»

لمعت عيناه تنذران بالخطر وهو يقول:«حاولت ذلك منذ سنتين لكن تشارلز منعني من دخول المنزل.»

ضحكت بسخرية وقالت:«أتحاول اقناعي انك لم تستطع تجاوز تشارلز.»

نظر اليها بدهشة وقال:«ماذا توقعت، ان أضربه، لقد فكرت بالأمر حينها ولكني تراجعت.»

«حسناً ياشوان، ولكنك لم تستطع الانتظار أكثر فأسرعت ساعة وفاته.»

اردف متجاهلاً تلميحاتها: «بالطبع، ألم تتوقعي حضوري إلى دفن والدي؟»

أضافت على كلامه بالقول: «أردت المجيء كي تطردنا من المنزل، فلا تحاول انكار ذلك.»

«لن تصدقي إذا قلت لك لا، ولكن بما ان الأمر قد حصل فأنا سعيد.»

نظرت اليه بغضب مكبوت وقالت: «لو كنت مكانك لما تحمست كثيراً لأن مصلحة الضرائب ستأخذ نصف التركة تقريباً.»

• • •

كان الحديث الوحيد في تلك الساعة يدور حول حضور شوان وتصرفه. فاعترض السيد تشارلز: «لقد دخل بكل جرأة وراح يتفحص زوايا المنزل وكأن الملكية اصبحت باسمه.»

علقت زوجته للمرة الأربعين: «مالا أفهمه هو كيف ان الحكومة اخذت الأمر بعين الاعتبار، أفكر في ان أبرق إلى المحكمة لأعرف كيف لطفل غير شرعي الحق في إرث والده.»

تدخل السيد تشارلز قائلاً بحدة: «حسناً سيعرف لاحقاً ان الأمر ليس بهذه السهولة، ولكن الحقير هو غيبون الذي يجرؤ على المجيء به إلى هنا، أستطيع ان اتكهن إلى جانب من هو الآن. سأستشير محامياً آخر لأعرف رأيه بالأمر.»

تساءلت بيبا بصمت، تفكر كيف استطاع شوان ان يعاملها هكذا، فهي لن تسعى للزواج من رجل كي تكسب

ثروته يوماً وعلى الأخص هو بالذات. انها لم تقابل يوماً رجلاً بمثل غروره واعتداده بنفسه. على كل حال في المرة المقبلة ستفهمه من هو بالنسبة اليها.

كانت تفكر كم كان من المخيب للأمل ان لاتحظى بالفرصة المناسبة لتتحداه. هذا بالاضافة الى انها كانت في ذهول تام ولم تتمكن من الاجابة بما هو يناسب ومنذ ذلك الحين وهي تفكر باختيار الكلمات المناسبة التي تجلعه يرى الأمر بعقلانية اكثر.

تابع السيد تشارلز يقول: «عليه ان يقاتل بقوة ليتمكن من الحصول على المال. سأرفع القضية إلى مجلس النبلاء إذا تطلّب الأمر وانا عازم حقاً على ذلك.»

قالت بيبا بحدة: «ألا تستطيع نسيان الأمر لدقيقة واحدة يا والدي، حتى لو استطعت منع شوان من الحصول على الثروة فهذا لايعني بأنها ستتحول اليك بسرعة، لأن المحكمة ستنظر بأمرها أولاً، وهذا ما سيجعلك تتكبد مصاريف انت بغنى عنها.»

فسألها والدها بحدة: «ولكن ما أدراك أنت؟ ما عليك سوى ان تأملي بأن تجري الأمور كما نتمناها يا ابنتي. فالثروة في النهاية ستؤول اليك ولا تقولي ان هذا الأمر لا يسعدك.»

وقفت بيبا وقالت: «في الواقع، لست مهتمة بالثروة وقريباً سأصبح فقيرة... أرجوك خذ منها علبة الدخان، فهذه العلبة الرابعة حتى الساعة ما عدا ما دخنته منذ الصباح الباكر.»

صرخ والدها في وجهها:

«فيليبا، كيف تجرؤين على مخاطبة والدتك هكذا.»

«آه يا والدي كلنا نعلم انها تدخن كثيراً فما بك تقف مكتوف اليدين، افعل شيئاً بدل تجاهلك للأمر.»

قال والدها:

«تناسي الموضوع فيليبا فنحن نتناول الطعام، وإذا كنت غير قادرة على ذلك، فمن الأفضل ان تتركي الغرفة.»

اجابته بوقاحة: «هذا ما سأفعله، فلم أعد أحتمل المكوث معكما، سأنزل إلى الاسطبل فعلى الأقل سأجد رفقة مسلية ومتفهمة هناك.»

بقيت بيبا متوترة وهي في طريقها إلى الاسطبل، متأسفة على فظاظتها مع والدها لكنها لم تستطع شيئاً آخر، انما ما أذهلها حقاً هو ان شوان لم يأتِ لاجل المال ويبدو ان لديه أعمال في كافة أنحاء المنطقة وشركات اخرى تسعى للتعامل معه بكافة المجالات.

كانت الاسطبلات توحي بالدفء والهدوء، وعندما لمحها فيوري وليدي أسرعا للقائها، فقد كانا يعلمان جيداً بأنها جاءت اليهما بتفاحتين. جلست بيبا تراقب الحصانين وهما يأكلان بسعادة الأمر الذي جعلها تنسى مشاكلها.

قالت تحدثهما: «ربما قد حان الوقت ليكون لي مسكني الخاص، فأنا في الحادية والعشرين ولكن أين سأضعكما يا جواديّ العزيزين؟ سأفتش لكما عن اسطبل آخر ولكنه لن يكون أجمل من هذا البيت.»

• • •

عادت بيبا إلى عملها في اليوم الثاني للجنازة، لقد كانت تملك متجراً لبيع الزهور هي وصديقتها مارغوري، انهما في هذا العمل منذ ثمانية عشر شهراً. وهذا المبنى يقع في مبنى قديم يعود إلى العصور الوسطى، قرب كافيتيريا صغيرة ومحل لبيع التحف في شارع ستراتفورد ابون ايفون.لقد كان العمل في المتجر ناجحاً بسبب موقعه الذي جذب كافة السائحين، حتى انهما قررتا ان تفتحا فرع ثانٍ للمتجر.

كان نهاراً مضنياً عندما حانت ساعة الاقفال. في ذلك الوقت قُرع الباب ودخل شاب يطلب من مارغوري المساعدة في اختيار باقة زهور كي يرسلها إلى فتاة. ولم تلتفت بيبا لانشغالها في إعداد طلب لزبون آخر. لكن لفت انتباهها صوته عندما قال: «اريد باقة من الأزهار لارسلها الى احدى السيدات، الورد ربما.» فأدارت رأسها لتلمح شوان الذي كان يتابع كلامه وكأنه لم يرها أبداً.

وفكرت بيبا بأن مجيئه الى هذا المتجر ليس صدفة، بل حضر عمداً كي يغيظها. وتساءلت لمن يرسل الزهور يا ترى، ليس لصديقة في كندا بالطبع، كما انه من المستحيل أن يكون لديه صديقة ولم يمضِ عليه سوى يوم واحد في انكلترا.

انتشلها الزبون من افكارها قائلاً: «آنستي، عفواً، أيتضمن السعر ثمن الآنية؟»

اجابت على سؤال الزبون: «آه... اعذرني، طبعاً يتضمن الآنية، كما ان أجرة التسليم داخل المنطقة تكلفك ٢،٩٥ جنيه. أتريدني ان ارسلها غداً؟»

لاحظت بيبا ان شوان يعاين سلسلة مختلفة الألوان من الورود، لكنه اخيراً اختار باقة صفراء ثمينة. لا بد انه سيدفع ثمنها من ثروته الجديدة.

اجبرت نفسها على التركيز على العمل الذي بين يديها وراحت تكتب العنوان الذي أعطاها إياه الزبون، لكنها بقيت متيقظة لكل كلمة دارت بين شوان ومارغوري.

سألته بيبا:«أتود وضع رسالة ما على الباقة يا سيدي؟»

«لنرى، سأقول فيها، أترافقينني إلى العشاء الليلة، وأرجوك ألا تضعي اسم المرسل فأنا متأكد من انها ستعرف.»

توقفت بيبا عن الكتابة عندما سمعت صديقتها تضحك وتقول لشوان: «محظوظة هذه الفتاة يا سيدي! أتود ارسالها بعد ظهر هذا اليوم؟»

«نعم، فسأكون شاكراً ان فعلتِ.»

«حسناً، سأوصلها بنفسي يا سيدي. يا بيبا، هل انتهيت من إعداد تلك البطاقة؟»

«شارفتُ على الانتهاء.» وعندما انتهت فعلاً، حاولت ألا تعيره أي انتباه كما فعل هو.

قالت مارغوري عندئذ: «إذاً يا سيدي ما هو العنوان.»

«انه للآنسة فيليبا كوربت، أما العنوان فهو كليرمونت.»

دهشت بيبا واشتعلت وجنتاها غضباً بينما حدقت

صديقتها بها وكذلك الزبون الآخر، كيف له أن يهزأ منها بهذه الطريقة.

قالت بيبا: «لا تكملي كتابة العنوان يا مارغوري وأرجو ألا ترسليها، فهذه طريقة غبية في المزاح.»

تصنع شوان الدهشة التي لايمكن ان تخدع طفلاً صغيراً واعترض قائلاً: «كلا أبداً سيدتي، وهل هناك مشكلة في ارسال الورود إليك.»

قالت بحدة: «تستطيع ان تدخّر مالك، فلن أتناول العشاء معك.»

قهقه ضاحكاً وقال: «آه، لا أعرف كيف أجاريك فانت متقلبة جداً، ليلة أمس كنت تلاطفينني حتى اعتقدت انني حلمك الوحيد وبأن امنياتك قد تحققت.»

اشعلها كلامه غضباً فهو يجرها الى الحديث امام الآخرين: «لم أفعل هذا ابداً، أما إذا كان تعجرفك قد دفعك لتفهم ان اعتذاري البسيط عما بدر من والدي، بانني احاول التودّد إليك، فهذا يعود لك، وأريدك ان تتأكد انه لم يكن هناك اي شيء من هذا القبيل.»

قال بنبرة فيها تأسف ساخر: «يا للأسف ويا لسوء حظي، كدت اعتقد اني سجلت هدفاً.»

تضايقت بيبا مما حدث، أما مارغوري فكانت متشوقة لسماع المزيد، بينما وقف الزبون مندهشاً. تركتهم بيبا واتجهت نحو الغرفة الداخلية حيث ألقت بالمقص أرضاً متمنية لو انها قطعت به وجه شوان المتعجرف، الذي لم يسبق لأحد قبله أن عاملها بمثل هذه الطريقة.

تبعتها مارغوري الى الغرفة الداخلية وهي تقول ضاحكة: «كوني حذرة يا بيبا فهذا أفضل مقصٍ لدينا، إذا أردت الترفيه عن نفسك خذي هذا المقص فهو قديم.»

كلام صديقتها جعلها تضحك هي ايضاً بدورها: «لن ينفعني. أنا آسفة، كدت ان أقتل هذا الرجل من شدة غيظي.»

«بالطبع لن تفعلي ذلك، فهو شاب وسيم ولا أعرف ماذا فعل حتى يستحق هذه المعاملة.»

«انه شوان مورغن، ابن غرامبس.»

«آه... لم أكن أعلم ان لغرامبس ابن.»

اجابتها موضحة: «نعم، لغرامبس ابن ووالدته هي سكرتيرة غرامبس. في الواقع أنا لا ألوم غرامبس على معرفته بالسكرتيرة فلا بد ان جدتي جعلته يعاني الأمرين، المهم ما قاله المحامي، فشوان سيحصل على كل شيء لأن جدي لم يترك وصية.»

«ماذا تقولين. سيرث كل شيء بما فيه البيت، الشركة وكل شيء، ولكن ماذا عن والدك؟»

«سيُجن تقريباً ولكن ليس باليد حيلة، فالرابط الدموي هو الأهم سواءً كان الطفل قانونياً أم لا، أما ابن الزوجة فلا يحق له شيئاً على الاطلاق.»

«آه... إذاً هذا هو سبب كرهك له.»

اجابت بيبا بصدق: «كلا، ليس هذا، على العكس أود أن يكون هذا درساً لوالدي ولكن شوان الأحمق اتهمني بانني اتقرب منه حتى يتزوجني كما فعلت جدتي مع غرامبس في السابق.»

ضحكت مارغوري مجدداً فقد عرفت بيبا منذ طفولتها ووالدتها عرفت السيدة كوربت وطبعها الحاد، ولكنها كانت متأكدة تماماً بأن بيبا لم تفكر بما ادعاه شوان، وفجأة قُرع جرس المحل.

«تباً، لا بد انه زبون آخر، سنكمل حديثنا فيما بعد.»

www.elromancia.com

الفصل الثالث

نادت بيبا بأعلى صوتها بعد ما رأت الفتى يمشي فوق السور الذي يحيط بموقف السيارات: «انزل يا جيريمي أرجوك، ان سور الموقف مرتفع جداً وقد تقع، انزل أرجوك.»

اجاب جيريمي بفخر واعتزاز: «لن أقع، أستطيع فعل ذلك، راقبيني حتى نهاية الحائط.»

«هيا يا جيريمي، تحرك.» نادى أصدقاؤه مشجعين.

كان جيريمي هاردويك كوبر في الثالثة والعشرين من عمره، لكنه لطالما تصرف كطفل صغير، أما الآن فقد شارطه أحدهما على قطع الحائط مشياً مقابل خمسين جنيهاً ولم يردعه شيء.

تمكن في النهاية من قطع المسافة ووصل سالماً غير مهتماً لمظهر سترته الوسخة. ثم تقدم من بيبا وقال:« انظري إلي، لقد اجتزت السور بخير وسلام لقد قلت لك بأنني لن اقع.»

لم تكن بيبا في مزاج صاف هذه الليلة لتشارك اصدقاءها الضحك والمرح، ولكن جيريمي لم يلاحظ هذا.

ماذا أصابها، شعرت بأنها لا تنتمي لهذه المجموعة مع انهم أقرب أصدقاءها وكلهم أبناء وبنات أهم وأغنى العائلات في المنطقة، الطبقة التي لم تفكر يوماً

بأخذ أي أمر من الأمور بجدية ولا هم لها سوى قيادة السيارات الجميلة والتنزه.

وجدت نفسها تائهة وسطهم فهي الوحيدة التي شعرت بأن هناك أمور أخرى في الدنيا للاهتمام بها غير اللهو والمرح.

عندما وصلوا إلى نهاية الطريق لاحظت بيبان ثمة من يراقبها، فإذا بشوان مورغن يترجل من سيارته بعد ان اركنها في الموقف.

نظر إليها بسخرية، فأشاحت بوجهها بسرعة كي لا يراها، وقد شعرت بازدياد في خفقان قلبها بينما توردت وجنتاها، فحاولت اخفاء ردة فعلها بضحكة مرتفعة عندما قال احد افراد المجموعة شيئاً سخيفاً، ثم أمسكت بذراع جيريمي ودخلوا جميعاً المطعم بسرعة.

قالت بصوت عالٍ: «هيا يا أصدقائي أود ان أرقص وأضحك طوال الليل.»

اجابها جيريمي بسرور: «انا مستعد كل الاستعداد يا بيبا.»

كان المطعم يحتشد بالناس، وكانت الوحيدة التي لاحظت سوء تصرف الاصدقاء وكأنها تخرج معهم للمرة الأولى.

طلبت بيبا بتعال: «سأشرب كوباً من عصير البرتقال.»

اعترض جيريمي قائلاً:

«كلا، سنشرب شيئاً أفضل، من فضلك يا كيفن أحضر لنا عصير الكوكتيل.»

وسرعان ما لحقهم شوان إلى المطعم لكنه لم يستدر نحوها بل كان منشغلاً بالحديث مع اصدقاء له كانوا في انتظاره.

تباً لشوان، لماذا تهتم به؟ إذ مهما فعلت سوف يحتقرها، كما ان هناك الكثير من الشباب الأثرياء الذين يسعون وراءها امثال جيريمي الشاب الوسيم

لكن مهما حاولت انكار ذلك، فقد حاولت بيبا جاهدة لفت انتباه شوان بشتى الطرق، ولكنه كان غارقاً في حديث مع اثنين من مدراء شركة مورغن وزوجتيهما.

لقد شعرت بأنها تائهة مشوشة الفكر، وهذا على غير عادتها عندما تكون برفقة الاصدقاء.

في تلك الاثناء تهافت الجميع على مراقصة بيبا، فقال جيريمي بصوت حاسم: «انه حقي يا بيتر، فلا تنسى انها قد أتت معي.»

ناقشه بيتر بقوله: «انا من طلبت منها أولاً، وليس من اللطافة ان تسرق فكرة غيرك.»

ولتضع حداً للعراك أمسكت بيبا بمنديلها ووقفت في حلبة الرقص ووعدتهم بأن الذي يحصل عليه أولاً هو من يراقصها.

سارع الشبان لالتقاط منديل بيبا فخلّ توازنها فإذا بذراعين قويتين تمسكانها: «لم يكن من الصواب ان تفعلي هذا، كدت تلوين كاحلك.»

اجابت بازدراء وقد لاحظت السخرية في نبرة شوان: «لا يهمني، افضل الحياة القصيرة شرط ان تكون سعيدة.»

اشار شوان مستهزءاً: «كسر صغير لن ينهي حياتك، قد تقضين شهرين مزعجين في الفراش فتضطري للتخلي عن حياتك الاجتماعية هذه.»

أظهرت بيبا اللامبالاة محاولة الإفلات من ذراعي شوان. واحست بالغضب من نفسها لأنها سمحت له أن يفعل ذلك.

فقال دون ان يستأذن منها: «هيا، لنرقص.»

«لا، لن أرقص.»

«ولما لا.»

«أفضل البقاء مع اصدقائي.»

«تفضلين البقاء مع هؤلاء السخفاء؟ألهذا السبب رفضت دعوتي إلى العشاء؟»

«انهم ليسوا سخفاء.»

«اعتقد انهم كذلك ورؤيتك معهم لن تُحسّن من فكرتي عنك.»

اجابته بنفاد صبر: «لقد قلت لك مراراً انني لا أهتم لرأيك أبداً.»

قال بتعجرف: «اعرف، ولكن عليك ان تفهمي انك لست سوى فتاة صغيرة افسدها الدلال اود ضربها من حين لآخر.»

ارادت بيبا ان تنظر اليه بتحدٍ، لكنها لم تستطع مواجهة نظراته، وقالت معترضة: «كيف تجرؤ على مخاطبتي بهذه الطريقة، من تعتقد نفسك؟»

أجاب بلؤم: «حسناً، مهما كرهت هذه الفكرة أنت وأهلك، عليكم ان تفهموا جيداً انني أملك كليرمونت في الوقت الحالي.»

www.elromancia.com

حاولت التراجع بينما اشتعلت غضباً وحاولت القول: «أيها السا...»

«هيا، لماذا لا تقولينها فأنا لست خجلاً من كوني ابن سافلة، فعلاقة والدتي بوالدي كانت أشرف بكثير من زواجه من جدتك.»

كان عقل بيبا مشوشاً فلم تجد الرد المناسب خاصة انها كانت توافقه الرأي ضمناً. حاولت الابتعاد عنه ولكنه أحكم امساكها وراح يراقصها على أنغام الموسيقى.

أحاطها بذراعيه ولم تستطع سوى ان تغمض عينيها مستسلمة له، فأحست بأن رائحة عطره تسيطر على حواسها، فقد جعلها تنسى الكون بأجمعه وبأنه الشيء الوحيد الثابت في كل الدنيا.

ناداها جيريمي فجأة، فعادت إلى الواقع لتراه بين الاصدقاء في هرج ومرج.

فقال شوان بازدراء: «لا اعتقد بأنك ستدعين هذا الحقير يوصلك إلى المنزل.»

قالت بوقاحة:«ولما لا، هل اقترف شيئاً ما وتريد ابلاغ الشرطة عنه؟»

«لو انني في كندا لكنت الشرطي حقاً.»

«آه... أنت شرطي!»

ابتسم بشكل ماكر واجاب:«هذا ما قُلته، فليس من الممتع ان يكون المرء بصحبة شاب طائش متهوّر يقود سيارته بسرعة مخيفة فيعرض حياته وحياتك للخطر. أنت لست صغيرة وعليك ان تعي كل هذه الأمور جيداً.»

قالت بتلعثم: «آه. لم أكن أعلم انك شرطي.»

صحّح كلامهاقائلاً: «أنا تحرٍ ولكنني أفكر في الاستقالة، لقد ورثت شركة كبيرة وعليّ إدارتها بطريقة صحيحة.»

«طبعاً وربما عليك الانتقال إلى انكلترا الآن.»

ظهرت في عينه نظرة مكر وقال: «هذا طبيعي. فبالاضافة الى الشركة، ورثت منزلاً جميلاً أيضاً. لا أعلم ربما سيختلف الأمر عن شقتي في الدور العاشر في بارك دايل فقد كانت مُطلة على البحيرة حيث المشهد رائعاً. لا أعلم قد أقوم ببعض التعديلات... هل هناك تدفئة مركزية في المنزل؟»

اجابته بإستهزاء: «نعم، في بعض أجزاء المنزل ولكن لا تتردد في تهديم الأرض والجدران لتوصيل التدفئة الى بقية الاجزاء.»

«شكراً لك، كنت أنتظر موافقتك، ولن اتردد في القيام بذلك.»

فكرت بيبا بانزعاج بقدرته على الرد بحدة وسخرية في نفس الوقت، وكيف ان بامكانه ان يذكرها دوماً بلقائهما الأول حينما مُزقت سترتها.

كانت ذكرى تلك الحادثة تعود دائماً الى ذهنها وربما كانت السبب في شعورها بالضعف كلما التقت به.

وبينما كان يراقصها، نسيت بيبا كل كلامه الساخر وتاهت في عالم الخيال متمنية ان تدوم هذه اللحظات حتى آخر دقيقة من عمرها.

في تلك اللحظات وكأنما تذكر جيريمي فجأة بأنها

برفقته، قفز عن كرسيه بقوة واقترب منها قائلاً: «آه يا بيبا أين أنت؟ ومن يكون هذا؟»

قالت برجاء: «أرجوك يا جيريمي ليس من الداعي أن يلاحظ الجميع.»

قال جيرمي بغضب«أتعتقدين انه ليس من الداعي؟ ابتعد عن طريقي أيها السافل، من تعتقد نفسك حتى تراقص صديقتي؟»

اعتقدت بيبا في بداية الأمر انهما سيتقاتلان، لكنها سمعت شوان يقول بهدوء وبلهجة ساخرة: «لا داعي للعراك فهي لك واعتقد انكما تناسبان بعضكما البعض كثيراً.» ثم التفت اليها ورماها بنظرة محتقرة.

قال جيريمي لها حين استدار شوان وابتعد عنهما: «من يعتقد نفسه حتى يهيننا بهذه الطريقة، سألقنه درساً لن ينساه.»

قالت له بيبا برجاء: «كلا يا جيريمي، لا تفعل بل دعه وشأنه.»

اجاب مرغماً:«حسناً سأدعه ولكن من هو على كل حال، هل تعرفينه؟»

«نعم، انه ابن غرامبس ولكن غير مسجل قانونياً في سجلات الاسرة.»

بدا على جيريمي الذهول التام بينما كان يراجع الأمر في رأسه، ثم قال: «آه... إذاً هو عمك.»

نفت بحركة من رأسها وقالت بحدة: «كلا، ليس عمي ولا تصلني به اية قرابة، وغرامبس كان زوج جدتي فقط.»

«عفواً، لقد نسيت ذلك فمن كان يتصور ان لهذا العجوز امرأة أخرى، مع اني سمعت والدي يتحدث عن الأمر يوماً، ربما عليّ الاعتذار منك. لكنه بدا لي وقحاً، كم وددت لو أضربه.»

«كلا، لا تزعج نفسك فبالكاد أعرفه، هذا بالاضافة إلى انه ليس لطيفاً بل متكبر ومتعجرف وأنا أكرهه.»

انزعج جيريمي من كلامها وقال ملاطفاً: «هل أزعجك بشيء؟ ماذا حصل؟ خذي المزيد من العصير، ستشعرين بحال أفضل.»

اجابته بلهجة حاسمة: «كلا لا أريد المزيد من العصير، اريد ان ارقص فقط.»

في الواقع، بالرغم من ادعاء جيريمي بأن بيبا هي صديقته، لكنه منذ شهر وهو يلاحق لوسي وهي احدى صديقات بيبا. لكنه بقي مع بيبا الليلة كي يكون ضمن المتنافسين للفوز بالرقص معها.

كانت بيبا ولوسي صديقتين متقاربتين وما زالتا حتى الآن، وقد حضرتا مع الاصدقاء الى المطعم لتمضية فترة تسلية ومرح. لكن بيبا بدلاً من ذلك، ابعدت جيريمي عن لوسي وراحت ترقص معه. شعرت بيبا بالذنب لما فعلته فأدارت رأسها تبحث بنظراتها عن لوسي فوجدتها بصحبة شوان يراقصها.

شعرت بشيء من الغيرة وتساءلت من أين للوسي أن تعرف شوان، فربما عن طريق والدها كونه مدير في شركة مورغن ولكن هذا لا يجعلهم حميمين لهذه الدرجة.

www.elromancia.com

انهما يناسبان بعضهما البعض، فلوسي فتاة جميلة ذات شعر بني اللون وعينان بنيتان ايضاً كما انها كانت تحدث شوان بانسجام كبير.

إذاً لوسي هي النوع الذي يعجبه، فهي هادئة وودودة ولطيفة مع الجميع، أي على عكسها تماماً، ربما لهذا السبب دعاها شوان للرقص. فطبع بيبا الحاد والوقح هو الذي ابعده عنها.

أدارت بيبا وجهها بسرعة خوفاً من أن يراها أحد تراقب شوان ولوسي، وما كان يؤلمها كثيراً وتوبخ نفسها عليه هو انها قد اعجبت بشاب يحتقرها، شاب اعتقاده الراسخ والوحيد، انها قد تلعب لعبة جدتها في يوم من الأيام.

انتبه جيريمي للوسي وشوان فانزعج من ذلك وقال لبيبا: «ان هذا المكان يشعرني بالاختناق.» وطلب من بيبا ان يتركا المكان، ولكنها هدأته وعادت به الى حيث كانا يجلسان. وبالرغم من ان جيريمي أراد الرحيل لأنه كان ينزعج من رؤية أي شاب بصحبة لوسي، ومع انها كانت تشعر بالغيظ الشديد، اظهرت أنها تقضي أجمل أوقاتها بين الرقص والضحك المتواصل.

اخذت تراقب شوان ولوسي بحسدٍ متسائلة عن سبب انسجامهما الشديد وعن اللطافة التي يظهرها للوسي، والتي لم يظهرها لها ولا مرة.

من المؤسف انه لم يكن باستطاعتها تبرير موقفها فأي محاولة منها قد تبوء بالفشل. لأن شوان كان

مقتنعاً بأنها ليست سوى فرد من تلك العائلة المتسلطة والتي تدير كل شؤونها بالاحتيال.

ادركت بيبا انه ليس عليها اتهام لوسي بسرقة شوان منها لقاء ما فعلته هي مع جيريمي ولكنها لم تشعر إلا برغبة في الانتقام.

قال جيريمي بينما بدأ الجميع بالتحرك الى الخارج: «أتعلم يا بيتر انا متأكد ان سيارتي البورش ستسبق سيارتك، فماذا تقول؟»

قالت بيبا بسرعة: «اوه، كلا. لا تفعل ذلك. فلا اريدك ان تتعرض لحادثٍ على الطريق أو تسحب منك الشرطة رخصة القيادة.»

قال بيتر: «معها حق يا جيريمي. فقد أوقفتني الشرطة ثماني مرات وحذرني والدي بأنه سيبيع سيارتي هذه المرة وأنا متأكد انه سيقوم بذلك.»

صمت جيريمي للحظات ثم قال بعد تفكير:«حسناً، أرجوك يا بيبا قودي السيارة عني.»

ابتسمت بيبا لجيريمي برضى، فلطالما كان متهوراً وغير مسؤول ولكن السبب في ذلك هو نشأته في عائلة غنية عاملته على انه الطفل المدلل منذ صغره، وفي الواقع جيريمي كان شاباً طيباً في داخله وصديق وفيّ.

اقتنع الجميع بكلام جيريمي، واتفق البعض على ان يطلبوا سيارة أجرة لتوصلهم الى بيوتهم،وسأل احدهم: «لكن ماذا بشأن لوسي؟»

اجاب جيريمي:«يبدو انها ليست مستعدة للرحيل بعد. فهي تستمتع بوقتها.»

استدارت بيبا ونظرت الى لوسي ثم تراجعت وخرجت من المطعم مع اصدقائها نحو السيارة، قادت بيبا سيارة جيريمي متمتعة بقوة محركها وخفت سيرها على الطريق. وبعد ان أوصلته إلى منزله اتفقا أن تُعيد بيبا السيارة لجيريمي في الصباح الباكر.

كادت بيبا تضحك بعد ما اصبحت بمفردها، يا للسخرية فهي تشعر بغصة وألم حاد في قلبها، وليس باستطاعة أحد ان يشفيه سوى شخص واحد وهو الآن بين ذراعي لوسي.

فكرت بأن الوضع مضحك، لكنها شعرت في داخلها بأنها تريد ان تبكي. لأن شوان بالتأكيد سيوصلها الى منزلها ويقبلها قبلة الوداع على وجنتها. احست بنار الغيرة تنهش قلبها وهي تعيد صورتهما في خاطرها. وبينما كانت سارحة في أفكارها انحرفت عن الطريق وكادت تصطدم بسيارة أخرى. فتوقفت لبرهة لتهدىء من نفسها المضطربة.

فتح باب سيارتها فجأة وسمعت صوتاً يقول: «أمجنونة أنت، كدت ان تقتليني، كان يجب ان أعرف انك أنت من يقود.»

أدارت بيبا رأسها فوجدت شوان أمامها.

ثم تابع قائلاً:

«لم يكن علي ان أتوقع أحداً غيرك فأنت لست سوى متعجرفة أنانية لا تهتم سوى بنفسها، حتى انك تحاولين خداع البوليس بوضعك حزام الأمان على جنب واحد.»

«لقد وضعته ولكنه انزلق.» لم تنتبه بيبا لانزلاق حزام الأمان فلا بد ذلك قد حصل فيما كانت شاردة الذهن.

«انتظري هنا ولا تتحركي سأركن سيارتك الى جانب الطريق وأوصلك إلى المنزل.»

قالت بصوت عالٍ:«لن تجرؤ على لمس هذه السيارة فليس لك الحق بذلك.»

«اسمعي يا آنسة، لقد ضقت ذرعاً منك، كلمة أخرى وسأضربك ضرباً مبرحاً، الأمر الذي سيبقيك في السرير لاكثر من اسبوع.»

«أيها الأخرق، أكرهك.»

ابتسم بسخرية وقال: «افعلي ما أقوله وإلا جعلتك تشعرين حقاً بما تفوهت به.»

الفصل الرابع

راحت بيبا تراقب شوان وهو يوقف السيارة الى جانب الطريق متحكماً بها بمهارة بالرغم من قوة محركها وسرعتها.

وعندما خرج شوان من السيارة وضع المفاتيح في جيبه واتجه نحو بيبا لكنها لم تنظر نحوه.

«حسناً، اصعدي الآن إلى السيارة.»

فقالت بحنق: «ألا تعرف أنها قد تُسرق إذا تُركت هنا طوال الليل.»

«من الصعب ان يحصل ذلك في هذا الوقت من الليل كما اني أفضل ان تسرق على ان تقومي بحادث وأنت في طريقك إلى المنزل.»

«بالمناسبة، انها سيارة جيريمي وليست سيارتي، كما انه لن يكون مسروراً إذا سُرقت.»

«أتعنين انه أعارك سيارته؟ مع انني لا أعرف لماذا يدهشني ذلك، ولكن بعدما رأيت طريقة تصرفه الليلة فهمت كم هو مهم هذا الشاب لمجتمعكم.»

علقت بالقول: «انه مستشار استثماري

ضحك بسخرية وكأن ما قالته ابعد من ان يكون حقيقة، فاشاحت بوجهها عنه ونظرت من النافذة غير قادرة على التفكير سوى بشخص واحد، شخص تشعر به في قلبها، هو شوان.

وعندما اقتربوا من كليرمونت انعطف شوان نحو الطريق المؤدي إلى المنزل فإذا بأرنب صغير يقطع أمام السيارة ثم يفر بسرعة إلى ان اختفى كلياً عن انظارهما.

ضحك شوان وقال: «لا أعرف سبب خوف هذه الحيوانات الصغيرة.»

نظرت بيبا إلى شوان بتعجب فمعظم الرجال الذين عرفتهم مسبقاً يستمتعون بدهس الحيوانات البريئة.

نظر اليها وضحك متابعاً: «في الحقيقة اني أتعاطف مع الأرانب كثيراً، ألم تقرأ لك والدتك قصة بياتركس بوتر عندما كنت صغيرة؟»

ادارت بيبا وجهها عنه كي لا يرى نظرة عينيها، ولم تجب على سؤاله. فوالدتها لم تقرأ لها قصة يوماً لأنها كانت دوماً منشغلة في نشاطاتها الاجتماعية أو في تصفيف شعرها.

لقد نشأت بيبا بين ثلاث مربيات، اثنتان منهن تزوجتا بسرعة والثالثة تركتها إثر دخولها إلى المدرسة. فأحيطت بيبا فيما بعد بعددٍ من المربيات، اللواتي انشغلن بوالدتها السيدة كوربت اكثر منها.

عندما وصلا إلى المنزل أطفأ شوان محرك السيارة فبدا الجو في غاية الهدوء ولم تسمع بيبا سوى دقات قلبها المتسارعة لكنها بقيت صامتة.

قالت بصوت يدل على اللامبالاة: «حسناً، إذا كنت تنتظر مني ان اشكرك، باستطاعتك ان تنسى الأمر لأنني كنت آتية لوحدي بسلام وامان.»

www.elromancia.com

«لم أتوقع أن تشكرينني فربما كبرياؤك والسلالة النبيلة التي تتحدرين منها تمنعك من التفكير ان اللياقة مفروضة عليك أيضاً.»

نظرت إليه بحدة وقالت: «لست سيئة التصرف، فعلى الأقل أنا لا الاحق الناس وأهددهم.»

ضحك بجفاف وقال: «أتعترفين بأنني قد أخفتك؟ إذاً أنت تظهرين القوة ولكن غير قادرة على الدفاع عن نفسك.»

«لست كذلك.»

ابتسم ببطء وأجاب: «ربما لست ضعيفة ولكنك لينة وناعمة كحبة الدراق مما قد يجعلني أتلذذ بك قضمة بعد الأخرى.»

وبهدوء وضع شوان يده خلف رأسها وأدناها منه. لم تمانع بيبا عندما قبلها على خدها حتى انها نسيت كبرياءها وكرهها له متمنية أن تدوم هذه اللحظات مدى العمر ولكنه سرعان ما ابتعد عنها ورماها بنظرة حادة وساخرة.

«انك فتاة رخيصة، تنسين نفسك بسرعة وتسيرين حسب التيار. إذا كنت تُحبين هذا المنزل فعليك ان تكوني صديقتي وتحت سيطرتي ليس أكثر.»

صُعقت بيبا لهذه الكلمات المهينة، وعندما مدت يدها لتصفعه، امسك بها بسرعة وقال: «لا، لن تفعلي، عليك ان تعرفي اني لست واحداً من اصدقائك الذين تنالين منهم ساعة تشائين. أحذرك انه إذا حاولت ذلك معي مرة أخرى، فستنالين مني ما لا يرضيكي أما اليوم فقد اكتفيت منك، اخرجي من سيارتي.»

تسمرت في مكانها دون حراك، غير قادرة على تصديق ما قاله بعد ان قبلها بهذه الطريقة، وبينما هي محتارة في امرها، خرج شوان من السيارة وفتح الباب من ناحيتها واخرجها من السيارة عنوة.

صعد شوان في سيارته وانطلق بها فبقيت تراقبه حتى توارى عن الانظار ولكنها سرعان ما استدركت ان أحداً قد يلمحها تخرج من سيارته بهذا الشكل، فاستعادت قواها واستقامت في وقفتها ودخلت المنزل.

كان المنزل غارقاً في الظلام، فوالدتها تنام عادة في وقت مبكر، ووالدها في لندن يقضي الوقت مع اصدقائه في منزله الفخم في لادبورك غروف.

• • •

من حسن الحظ ان بيبا لم ترَ شوان في الأيام القليلة التالية، وفي هذه الأثناء كان معظم سكان المنطقة قد عرفوا ان جورج مورغن لم يترك وصية فاختلفت آراء المحامين حول كيفية توزيع التركة في هذه الحال.

أما أهلها فلم يتقبلوا الوضع كما هو، وراح والدها يحاول تسوية الفوضى بينما انشغلت والدتها كعادتها عن العالم الخارجي بالاهتمام باناقتها.

لكن بيبا لم تهتم، بل تقبلت الأمر بشيء من الانزعاج والسرور في آن واحد. انما ما أزعج بيبا هو هطول الأمطار يوم مباراة الجياد المحترفة. ففيوري كان يفضل الأرض الصلبة.

في تلك الأثناء مرّ جيريمي بقربها فسألها عن حالها هي وفيوري وطلب ان يستوضح أمراً يتعلق بوالدها.

«تود ان تستفهم عن والدي؟»

نظر حوله ثم قال بصوت منخفض: «حسناً، خلتك سمعت ما يقال في المدينة عن ان والدك متورطاً في بعض الأعمال.»

اومأت بيدها نافية وقالت: «كلا، لا أعرف شيئاً. أخبرني ماذا يجري؟»

بدا غير مرتاح حين أجاب: «الحقيقة ان والدك يستثمر أمواله، فإذا كان هناك منزلاً صغيراً بحاجة للترميم يقدم المال بنفسه ويحصل على نسبة أرباح معينة وقد وضعت البعض في طريقه ليبلغوني أول بأول عن اخباره.»

«إذاً ما المشكلة. فأنا لا أرى ضرراً في ذلك.»

«حسناً، هذا النوع من الاستثمار يكون فعالاً عندما ترتفع قيمة الملكية وتهبط نسب الاستثمار، ولكن الأمر لم يكن كذلك في السنوات الماضية، انه لن يتعرض للمشاكل لو ان هذه الاستثمارات قانونية. ما كنت اتمناه، هو ان اعرف المزيد عن تحركات والدك منك شخصياً.»

«اني لا اعرف شيئاً عن هذا الموضوع، لو عرفت شيئاً لأخبرتك يا جيريمي. ولكن والدي في مزاج سيء منذ بداية الأسبوع فلا بد انك سمعت ما حل بكليرمونت وكافة الأملاك.»

قال جيريمي بنبرة جدية: «نعم، هذا ماجعلني اسألك، اعني اعرف انه كان يتوقع ان يرث كل شيء بعد وفاة

ذلك العجوز لذا اعتقدت انه...لا، لن يفعل شيئاً كهذا، عند ذلك يُعتبر مجرماً.»

«شيئاً مثل ماذا يا جيريمي؟» ارادت بيبا ان تعرف ماذا يعتقد جيرمي بشأن والدها. انها تعرف والدها ولا شيء مستبعد عنه.

أراد جيريمي ألا يتابع الحديث لأنه يعرف طبع بيبا جيداً فهي لن تتركه قبل أن تعرف القصة بأكملها، خاصة عندما اصرت عليه قائلة: «شيء مثل ماذا؟ تكلم يا جيريمي.»

«لم أقصد شيئاً، لكنه يتهرب من المشتركين فهم يسألون عنه دوماً ربما يُفكر في عدم تسديد ديونه لأنه كان ينتظر إرث جورج.»

علت الدهشة وجه بيبا وقالت: «هل تعني بكلامك انه يتصرف بأموال المستثمرين... يسرقهم؟»

اعترض جيريمي بسرعة: «لم أقصد ذلك أبداً انني متأكد من انها مجرد شائعات وسينتهي امرها في الأسبوع المقبل.»

«لست أكيدة إذا ما كان الأمر سينتهي، ولكن هل هناك ما يسيء اليك في الموضوع يا جيريمي.»

عم الصمت للحظات قليلة ثم قال: «طبعاً سأتأثر. فأنا من عرف والدك على هؤلاء المستثمرين، ولكنك لا تعتقدين ان هناك أي سوء في الأمر أليس كذلك؟»

«لا أعرف يا جيريمي ولكن إذا حصل وعلمت شيئاً فسوف أخبرك على الفور.»

• • •

وبطبيعة الحال، أنكر والد بيبا كل شيء وهذا ما كانت تتوقعه، لكنه سرعان ما شعر بالخوف والوجل عندما أعلمته بما أخبرها جيريمي، الأمر الذي اكد هواجسها.

قالت له: «إذاً انها الحقيقة؟ فأنت متورط في هذا الموضوع وقد يُقبض عليك لسرقتك أموال الناس. لم أشعر بهذا القدر من الاشمئزاز في حياتي.»

تدخلت والدتها قائلة: «أرجوك يا ابنتي لم أعد أحتمل اكثر، فلطالما تظاهرت باللامبالاة ولكن لم يعد يهمني ما يقوله الناس.»

نظرت بيبا اليها غير مصدقة وقالت: «كنت تعرفين كل شيء من قبل يا والدتي، أليس كذلك؟»

حرّكت السيدة كوربت كتفيها دون مبالاة وقالت: «أنت تعرفين جيداً انني لا اتحدث مع والدك بأموره العملية لجهلي التام بها. لكنني بالطبع اعرف مدى أهمية الاستفادة من أموال جورج، ولم نتوقع ابداً ان التركة لن تكون لنا.»

قالت بيبا بلهجة متهمة: «أنت لا تهتمين سوى بالمظاهر الخارجية، فماذا عن هؤلاء الفقراء الذين سُلبت أموالهم؟»

انزعج والدها من كلامها وقال على الفور: «لست سوى فتاة صغيرة ومدللة. ألم تسألي نفسك من كان يدفع ثمن ثيابك الفاخرة وعلف حيواناتك طوال تلك السنين.»

أجابت بحدة: «تعلم جيداً انني ادفع ثمن كل ذلك من

راتبي ومصروفي الخاص، ولكن دعنا من كل ذلك الآن وأخبرني حقيقة الأمر بالتفصيل.»

تجهم وجه السيد تشارلز وجلس باعياء على الكرسي وقال معترفاً: «بكل صراحة، إذا لم أحصل على مال جورج فسأعلن افلاسي كلياً فبعد ان فشلت في استثماراتي، اعتقدت ان صفقة المركب ستكون رابحة.»

«كان بامكانها ان تنجح لو لم يبحر به صديقك، ولكن أين ذهبت مدخرات والدتي؟»

اجاب وهو يشير بيديه في الهواء: «آه... لقد انتهى أمرها منذ عدة سنوات.»

فقالت بيبا بشيء من السخرية: «رائع، ممتاز، ولكن ماذا ستفعلان حين يحصل شوان على إرثه القانوني ويأتي لطردنا من البيت؟ هل ستخرجاإلى الطريق لتستجديا حسنة من الناس.»

كان صوت السيدة كوربت اشبه بالعويل عندما قالت: «آه كم الأمر مخيف، كيف يمكن ذلك؟»

قالت بيبا بصوت غاضب: «لن تكونوا لوحدكم في هذا الوضع المزري، فهناك الفقراء الذين ينتظرون أموالهم بفارغ الصبر، الفقراء الذين سلبتما أموالهم سيصبحون بلا منزل ايضاً... ولا شيء يعوض عنهم.»

لم تعد تحتمل البقاء معهما أكثر، فخرجت بسرعة متوجهة نحو الاسطبل حيث ضمت فيوري وبكت بحزن شديد.

قالت تخاطب الحصان:«لا أعرف كيف سأتركك يا

فيوري ولكن عليّ ذلك، الشيء الوحيد الذي يحزنني، هو اني سأشتاق لك كثيراً.»

ومن دون أن تضع السرج لفيوري امتطته بكل مهارة وقوة بينما اخذ يتطاير شعرها مع الريح.

امتطت بيبا حصانها أكثر من ساعة فجففت الريح دموعها. صعب عليها مفارقته ولكنها مجبرة على ذلك، كل ما حلمت به في هذه الدنيا قد انقلب رماداً.

وقضت الليل رهينة أحلام مزعجة تشعرها بأنها قد خسرت شيئاً مهماً، حين أستفاقت وجدت وسادتها مبللة بالدموع.

وفي الصباح الباكر استعاد والدها نشاطه وكبرياؤه ولكنها لم تكن في مزاج جيد كي تحادثه، لذا رمته بنظرة حادة وانتظرته حتى يتكلم هو أولاً.

«يسرني ان أعلمك اني وجدت طريقة لحل مشكلتي بالرغم من انها ليست الطريقة المثالية.»

حاولت ألا يبدو صوتها متوتراً وهي تقول: «وجدت حلاً؟ أخبرني كيف ستحل المشكلة.»

اجابها:«سأعرض على شوان ان نقتسم الأملاك بالنصف.»

دهشت بيبا وقالت: «تقتسم الأملاك بالنصف؟ ما الذي يجعلك تعتقد ذلك بينما يحق له كل شيء.»

أجاب والدها باعتداد: «سيقبل لقاء عدم منافستي له، فنصف المبلغ أفضل من أن يخسر كل شيء، كما ان هذا النصف الذي أتحدث عنه ما كان ليحلم به في حياته.»

شرحت وكأنه أمامها طفل صغير: «ألم تفهم بعد يا والدي، الأمر يتعلق بعدم وجود وصية وقد اضطلعت على بعض المراجع القانونية فما قاله السيد غيبون صحيحاً، لا يحق لك شيئاً من الارث إلا إذا أثبت انك مفلس وتستفيد من الأملاك.»

«لقد راجعت محامياً بدوري أيضاً وما سأحصل عليه قليل جداً لذا سأساوم السيد مورغن على طلبي البسيط وبذلك يتجنب المشاكل.»

نظرت اليه بشك وارتياب وقالت: «وماذا تعني بذلك، آمل ألا يكون ما افكر به.»

ارتبك السيد تشارلز من كلامها، فقال: «كل شيء متساوٍ في السلام والحرب. ولو كان مكاني لفعل نفس الشيء.»

اجابته:«لم اعتقد انك ستكون شريراً الى هذا الحد في يوم من الأيام، وها أنت تظهر لي طبيعة نفسيتك أكثر مما تصورت.»

قال والدها بصوت منفعل: «حسناً ماذا كنت تتوقعين، أن أتركه يحصل على كل شيء بسهولة. لقد دعيناه أنا ووالدتك إلى العشاء الليلة لمناقشة بعض الامور، وستكونين موجودة يا ابنتي لمساعدة والدتك. فهذا أقل ما يمكنك فعله لاجلنا.»

احست بالصدمة من الذي سمعته وقالت: «مستحيل. كلا لن افعل، فلا دخل لي في الموضوع.»

جاء رفضها قبل ان تعرف من صديقتها مارغوري بأن شوان قد اصطحب لوسي إلى العشاء، لم تصدق ذلك

ولكنها تذكرت كم كان مأخوذاً بها في تلك الليلة في المطعم، ولا بد ان لوسي تعاملها بالمثل. فبرأيها ان بيبا قد سرقت جيريمي منها، ولهذا السبب ستحضر بيبا العشاء وستكون في أبهى حلتها حتى يندم شوان على ما خسره في لعبته هذه.

احست بالغيرة تسيطر عليها، لكنها لن تظهر ذلك لأحد وبالاخص شوان مورغن.

الفصل الخامس

اختارت بيبا ثوبها بدقة متناهية فهي تريد ان تظهر بكامل اناقتها وتلفت انتباه شوان مورغن إلى أقصى حد. كان ثوبها من الحرير الخالص زخرفت عليه ورود زهرية وبيضاء، ووضعت بيبا حول عنقها عقداً ذهبياً به حبة من الماس.

وعندما سمعت صوت سيارة في الخارج، نظرت بيبا من خلال الستائر لترى شوان في سيارة فخمة وجديدة بدلاً من تلك السيارة المستأجرة التي كان يستعملها، ففكرت انه لابد بدأ ينعم بثروة جورج، فلو كان والدها مكانه لأضاع أمواله على اشياء لاقيمة لها في لادبروك غروف.

ولما نزل شوان من سيارته، ابتعدت بيبا عن النافذة بسرعة وجلست على فراشها حتى لايشعر انها كانت تنتظر قدومه وعزمت أن تتأخر في النزول مع انها كانت مستعدة كل الاستعداد.

وحين قررت أن تنزل بدا عليها الاضطراب وتساءلت ما إذا كان من الأفضل أن ترفع شعرها ولكن الوقت قد تأخر وعليها ان تنزل.

انها لم تخطىء باظهار اناقتها، ولكن ما بدأ يخونها في اللحظات الأخيرة، هو ثقتها بنفسها، فلم يسبق لها ان قابلت رجلاً في حياتها لم يعجب بها ولكن الأمر مختلف مع شوان.

www.elromancia.com

وحان وقت نزولها إلى غرفة الاستقبال، فأخذت نفساً عميقاً وفتحت الباب وخرجت لتسمع صوت والدها يتساءل عن سبب تأخرها.

التفت اليها حين رآها تدخل وابتسم قائلاً:«آه... ها قد أتت عزيزتي، ألا تستحق الانتظار ياشوان؟»

التقت نظراتها بنظرات شوان فابتسمت ابتسامة باردة وقالت:«مساء الخير ياسيد شوان. سررت لرؤيتك مرة ثانية.»

نظر اليها مطولاً وابتسامته الساخرة تعلو وجهه وقال:«أهلاً بك. فأنا من هو المسرور بلقائك، فكل مرة أراك فيها أتذكر لقاؤنا الأول ياآنسة كوربت.»

نظر الدها اليهما وقال:«دعونا من الرسميات، بامكاننا استعمال اسماءنا الصغيرة فنحن عائلة واحدة.»

فقال شوان وهو يبتسم بجفاء:«طبعاً نحن عائلة،أنت اسمك فيليبا أليس كذلك؟ أو أستطيع مناداتك بيبا؟»

اجابته بهدوء:«هذا مايدعوني به أصدقائي.»

«إذاً ماذا تودين ان تشربي ياابنتي قبل العشاء، أتفضلين عصير التفاح أو البرتقال؟»

«سأعده بنفسي، فلا عليك يا والدي.»

ذهبت بيبا إلى المطبخ لتجد والدتها تجلس على كرسي وعلامات الشحوب تسيطر على وجهها. فقررت ان لاتكلمها، لذا ملأت كوبها بعصير البرتقال وخرجت.

«اذاً، قل لي، أعجبتك انكلترا ياسيد شوان؟» سأل والدها محاولاً أن يكون لائقاً.

«طبعاً، فمن الجميل أن يعود المرء إلى وطنه.»

وافقه تشارلز قائلاً:«نعم... نعم، لقد زرت مرة كندا مع أصدقائي فتضايقنا من كثرة البعوض كما لسع واحد منا والتهب جرحه حتى أصبح الروم بحجم قبضتي.»

وافقه شوان:«معك حق فقد تكون مميتة في بعض الأحيان.»

«أتذكر ان صديقاً اسمه كاتيرينغ نقل إلى المستشفى حيث بقي حوالي أسبوع. حسناً، لكني لن أضجرك بأحاديث أيام الجندية الماضية. ولكن قل لي ماذا كنت تفعل في كندا فلا أتذكر انك أخبرتني.»

اجابه شوان:«لا، لم أخبرك. اني أعمل في الشرطة الملكية في كندا.»

دخلت السيدة كوربت في تلك الاثناء وتعثرت بشيء ما، هذا ماجعلها ترتبك قائلة:«آه... لاأعرف كيف تعثرت ووقع الكوب من يدي ياتشارلز ولكن سأحاول تنظيف مكانه بسرعة.»

قالت بيبا لها:«لاعليك ياأماه ولاتقلقي بشأن ذلك. فالسيدة ميلر ستزيلها حالاً.»

«نعم يابيبا معك حق.» لكن السيدة كوربت كانت خائفة إلى حد كبير، وهذا ما ظهر في نظرات عينيها، فكأن مجرد ذكر كلمة الشرطة جعلتها تشعر انها وزوجها سوف يدخلان السجن.

«سأملأ لك كوباً آخر يا والدتي.»

في هذه الأثناء خرج الطباخ هارفي وابلغهم ان العشاء جاهز.

فقال السيد تشارلز:«آه... طبعاً العشاء، من الأفضل ان نسرع قبل أن يبرد الطعام.»

همست زوجته في اذنه:«انه بارد ياتشارلز.»

أخذ تشارلز ينظر حوله بارتباك وقال:«ماذا، ماذا قلت؟»

كرّرت زوجته كلامها:«قلت انه بارد، فالطبق هو دجاج بارد.»

«آه... لماذا لم تعلميني بالأمر مسبقاً؟»

«انني أعلمك الآن.»

لم يغفل شوان هذا الموضوع بل نظر إلى بيبا فرمقته بنظرة باردة واتجهت امام الجميع نحو غرفة الطعام.

ذُهلت بيبا لمظهر الغرفة اللائق فقد فُرشت كل الأواني الفضية والكريستالية ووضعت الستائر المخملية على النوافذ، كما أضيئت الشموع مضيفة الجو الكلاسيكي على الغرفة.

فقال السيد تشارلز:«اجلس ياشوان مقابل بيبا. أليس الجو حميماً؟»

فكرت بيبا بشيء من الاشمئزاز، فالطاولة تتسع لعشرين شخص بينما جلس والديها كل منهما في طرفي الطاولة، وهي وشوان متقابلين في وسطها وسيتطلب الأمر ساعة حتى يُسكب الطعام. ولكن أيقصد أهلها التأثير على شوان من خلال هذه الفخامة، طبعاً لن يتأثر فهو يملكها الآن.

أخذ السيد تشارلز يروي القصص العديدة حول

حياته التي مضاها في الجيش، فتجاوب شوان لقصصه هذه بتهذيب مستمر مُضيفاً ضحكته الساخرة التي لم يلحظها أحد سوى بيبا.

لم تُكثر بيبا لا من الطعام ولا الكلام بل حافظت على برودتها ولا مبالاتها تجاه شوان وأظهرت لطافتها تجاه والديها اللذين بدوا مندهشين.

بينما حضر هارفي لتنظيف الطاولة انتقل الجميع إلى غرفة الجلوس لكي يشربوا القهوة.

قال السيد تشارلز وقد اصبحوا في غرفة الجلوس:«بما انك تعمل في السلك العسكري ياشوان لابد انك تجد الأمر صعباً أن تترك عملك في كندا وتعود إلى انكلترا.»

أجاب شوان وهو ينظر الى تشارلز وقد فهم مايلمح اليه:«كلا،فهذا أجمل ما قمت به من عمل طوال الستة أشهر الماضية.»

«آه... إذاً أنت تعمل في حقل الشرطة.»

«هذا ماكنت عليه سابقاً، فقد تمت ترقيتي.»

قال تشارلز:«إذاً انت تعمل في مكتب. لقد حصل لي ذلك في الماضي ولكنني سرعان ماتوقفت عن مثل هذا النوع من العمل.»

رشف القليل من قهوته وهو ينظر اليهم بنظرة باردة:«كنت أنوي ذلك بغية التغيير، وعندما قررت وجدت ان كل شيء جاهز أمامي.»

فسأله السيد تشارلز بقلق:«إذاً أنت عازم على البقاء هنا.»

نظر شوان الى بيبا واجاب:«نعم بالطبع. فكما أخبرت بيبا آخر مرة رأيتها فيها، أود أن أدير شركة والدي بطريقة صحيحة.»

فوجئت بيبا بكلامه وتذكرت ماحصل لها في آخر لقاء معه، كيف قبلها وهو يسخر منها ومن ثم طردها من سيارته غير آبه بها.

اضاف تشارلز:«إذاً أنت مستعد لهذا الأمر ياشوان.»

اجاب شوان:«نعم ياسيدي وعند ذلك استطيع مقاومة أي تحدٍ.»

احمرت وجنتاها وشعرت انها متهمة هي ببدء هذا التحدي فلم تستطع ابعاد عينيها عنه، لكنه سرعان ما استدار نحو والدها ليتابع حديثه معه.

«لاأنكر ان حديثك ممتع ياسيد تشارلز ولكن كنت أتساءل متى ستصل إلى موضوعك.»

تردّد السيد تشارلز قائلاً:«موضوعي؟»

«نعم، فكما تعلم أصبحت مالك هذا المنزل وأنتظر رحيلكم.»

أجاب السيد تشارلز وقد عاد الى حالته العدوانية:«ليس بعد ياشوان، فلم تحصل على وثيقة الاستلام حتى الآن.»

«كلا، ولكن تأكد ان الأمر لن يطول.»

«اعتقد انك تفضل أن لانتطرق إلى المحاكم وننهي الأمر بهدوء.»

«من الطبيعي ان أفضل ذلك.»

شع وجه السيد تشارلز بسعادة وقال:

«معك حق، فليس من الجميل ان تُهان العائلة أمام الجميع.»

ارتجفت بيبا خوفاً عندما رأت نظرات الغضب في عيني شوان وتساءلت ما إذا كان والدها مدركاً خطورة وعدوان خصمه.

أجاب شوان بهدوء لكن خطر:«أعتقد اني أخبرتك ياسيد تشارلز عن عدم استعدادي لأسمع أي إهانة توجه إلى أمي.»

«بالطبع لن يحصل.كنت افكر في ان نصل الى حلٍ وسطي فيما بيننا.» تراجع شوان في جلسته الى الوراء ونظر الى تشارلز باهتمام وسأله:«نعم، ولكن ماذا تقترح ان نفعل؟»

أدركت بيبا ان والدها اعتقد ان كل شيء يسير على مايرام لذا طلب من زوجته وابنته الخروج من قاعة الجلوس ليتكلم مع شوان على انفراد.

نفى شوان ذلك بحركة من رأسه وقال:«لا، أفضل ان تبقيا هنا فالأمر يتعلق بهما على السواء ياسيد تشارلز.»

قالت السيدة كوربت عند ذلك:«اعتقد انه ليس من شأني كل هذا وانا افضل ان اترك هذا الامر لزوجي، فماذا عنك يابيبا؟»

انتظر شوان جواب بيبا فبقيت جالسة مكانها وكان هذا بمثابة جواب. فاضطرت السيدة كوربت لأن تلازم الغرفة هي الأخرى.

تحول شوان الى السيد تشارلز وقال:«الآن، أود ان اعرف ماهو اقتراحك ياسيد كوربت.»

«اقتراحي لابأس به، فما رأيك أن أتنازل عن رفع أي قضية ضدك ونتقاسم التركة فيما بيننا.اعتقد أن هذا الحل عادل.»

«حقاً؟فأنا لا اعتقد ذلك. ففي الوقت الحاضر، كل هذه الاملاك ستكون لي. ولست مضطراً لذلك حين أستطيع الحصول على كل شيء.»

«هذا إذا برهنت انك على صواب ياسيد مورغن.»

«اريدك ان تتأكد بأنني لن اواجه اية صعوبة في ذلك، وحتى لو كان هناك فانك لن ترث شيئاً وسيذهب كل شيء للدولة.»

قال تشارلز:«أنا أيضاً لن أخسر شيئاً. ولكن عرضي مضمون والنصف الذي نتحدث عنه ليس بقليل... فقد ترك جورج الكثير من الأموال. ماقولك بهذا؟»

انتظرت بيبا رد شوان بخوف وقلق شديدين، ولكنه أخذ يضحك بصوت عالٍ وكأنه سمع نكتة. فاندهش الجميع منه.

ثم قال:«أنتم جميعاً لا شيء، هل تعتقدون حقاً انه باستطاعتكم تنفيذ هذا الأمر؟»

«ماذا تقصد بكلمة تنفيذ؟»

بدا شوان فجأة اكثر جدية عندما قال:«ألا تفهم قصدي؟ هناك كلمة واحدة تفسر ذلك وهي الاحتيال، أقول لك كلمة واحدة احتيال، احتيالك على جماعة من المسنين الذين يستثمرون أموالهم عندك، لقد أسأت التخطيط ياسيد تشارلز.»

اعترض السيد تشارلز:«لاأفهم ماتقوله، فلم أسمع بهذا في حياتي من قبل.»

رد شوان بنبرة قاسية:«ليس ماقلته هراء بالنسبة للمستثمرين، فلم يأخذني الأمر وقتاً طويلاً حتى جمعت المعلومات عنك. كما اني لااعتقد ان أعين الشرطة ستغفو عن الأمر إذا اطلعت على دفاترك، اعتقد انك ستزج في السجن.»

صدر عن السيدة كوربت صوتاً عبرت فيه عن خوفها فوضعت يدها على فمها بسرعة. أما بيبا فحاولت ان تبقى باردة كأن الأمر لايتعلق بها.

عندها قال شوان باعتدال:«لقد جاء دوري وسأعرض عليك صفقة، سآخذ العقود والاستثمارات لحسابي وأهبك بيتاً من البيوت التي تركها لي والدي في القرية مقابل استقالتك من شركة مورغن، كما اني سأؤمن لك مدخولاً صغيراً على أن لاتتدخل في عملي بعد اليوم. هل هذا واضح؟»

نظر إليه الجميع بدهشة فتساءلت بيبا عن سبب تركه لوالدها ان ينجو بفعلته بعد ان كان مصمماً على جعله يدفع الثمن.

اضاف شوان مبتسماً:«كما ان هناك شرطاً آخر... »نظر الى بيبا وتابع كلامه وهو مازال يبتسم:« وهو أريد الزواج من ابنتك.»

«ماذا؟»

قفزت بيبا من مقعدها وقد شعرت بالصدمة ثم قالت:«هل جننت، لن أتزوج منك ولو بعد مئة سنة.»

حرّك كتفيه دون مبالاة وقال:«حسناً، من دون زواج لن يكون هناك صفقة بيننا.»

سألته بعد ان جلست من جديد:«ولكن لماذا تريد ان تتزوجني؟»

اجابها ببرودة:«نظر للتغيير غير المتوقع في حياتي فوجود زوجة أمر مهم لي، وماتركه والدي كثير. لذا أريد مساعدتك في أعمالي بالإضافة إلى انك مضيفة اجتماعية ممتازة وأود ان أحصل على امرأة تجيد ادارة هذا المنزل معي، وليس هناك أبرع منك فقد قضيت عمرك كله فيه. إضافة على ذلك...» ولمعت عيناه بنظرة ماكرة وهو يبتسم ببطء ويضيف:«اني أسعى إلى انجاب طفل يرث أملاكي،فلا أريد أن يتكرر ماحصل في الماضي مرة أخرى في المستقبل.»

اعترضت باضطراب:«يبدو انك تسعى لخادمة وآلة لإنجاب الأطفال أكثر من زوجة.»

اجاب بابتسامة ساخرة:«أنت محقة يا آنستي.»

تدخل السيد تشارلز هنا ليقول مدافعاً عن ابنه:«مهلك ياسيد شوان، أتعتقد اني سأتركك تستهزأ بابنتي وأرميها بين يديك؟»

نظرت بيبا الى والدها بدهشة فهي لم تكن تتوقع أن يغضب والدها لهذه الدرجة في حياته لاجلها.

كرر شوان كلامه:«حسناً ياسادة، لازواج، لاصفقة.»

حاول تشارلز ان يخفف من حدة التوتر الذي حصل بينهم،فقال:«ولكن أليس باستطاعتنا تسوية الأمر. اقصد... أنا أفهم حاجتك لزوجة كفوءة في وضعك، فالمنطقة تمتلىء بالفتيات اللطيفات اللواتي يناسبنك اكثر.»

اجاب شوان دون ان ينظر الى بيبا:«كلا ياسيد تشارلز. ففي فيليبا شيء تفتقر إليه كافة الفتيات، فلا تنسى انك ووالدتك عذبتما والدي كثيراً وقد فات الآوان لتدفع والدتك الثمن ولو جعلتك أنت تدفع الثمن، سوف يتضرر الكثير من الأبرياء، لذا فابنتك ستفي دينك لي في كل يوم من ايام زواجي، عندها سأشعر بأنني انتقم منك مباشرة.»

نهض شوان بينما الجميع ينظرون اليه بذهول تام وبصمت وتابع يقول:«سأمهلك حتى مساء يوم الاثنين المقبل وسأجعل السلطات توقف تحرياتها إلى حينها. عمتم مساء وشكراً على دعوتكم للعشاء.» ثم استدار وخرج قبل ان يسمع اي اعتراض من قبلهم.

قالت الوالدة اولاً لتكسر جدار الصمت الذي عم المكان:«عزيزتي بيبا أتأتيني بكوب من الليموناضة يابنتي، اعتقد اني بحاجة ماسة إلى شيء منه.»

قالت بيبا:«اعتقد اننا جميعاً بحاجة اليه ايضاً.»

نظر تشارلز الى ابنته وقال بلهجة متعبة:«أنا أيضاً أود أن أشرب كوباً يابنتي، فهذا أبغض ما سمعته في حياتي.»

قالت زوجته عندها بقلق شديد:«ولكن ماذا سنفعل يا تشارلز إذا بدأت الشرطة تحرياتها، سنتأذى جميعاً.»بدأت بالبكاء وتابعت بصوت مخنوق:«آه... لا أستطيع تحمل ذلك.»

قال لها زوجها بملل:«أرجوك لاتبدأي. فبالرغم من انني لاأوافقه الرأي ولكن علينا مجاراته.»

www.elromancia.com

قالت بيبا وقد عادت بالعصير: «أتقول علينا أن نجاريه، لا أحسبك جاداً ياوالدي.»

«ألديك حلاً آخر؟أو تتمنين رؤيتي في السجن.»

اوضحت لوالدها بغضب: «لا أبالي ماإذا كنت ستدخل السجن أو لا ولكن لن يدفعني أي شيء إلى الزواج منه.»

أجاب بحدة: «فيليبا! هذا أقل مايمكنك فعله لاجلنا بعد ان سهرنا على راحتك طوال تلك السنين،ماذا بشأن والدتك المسكينة؟ألا تفكرين فيها وبماذا سيحل بها؟»

«ألم تفكر أنت باولئك الأبرياء الذين سرقت أموالهم؟ هذه مشكلتك انت... فأنت بدأتها وعليك تحمل النتائج لوحدك، فلا دخل لي بالأمر. ولن تستفيد مني بشيء.»

خرجت بيبا بسرعة متجهة نحو غرفتها حيث رمت بنفسها على السرير وأخذت تجهش بالبكاء.

فكرت بيبا ان المشكلة، في حال رفضت الزواج من شوان ليست دخول والدها إلى السجن فقط، بل بالأذى الذي سيلحق بجيرمي الذي قد تدمر سمعته وأيضاً بالمستثمرين الفقراء الذين ينتظرون الحصول على أموالهم.

• • •

عادت بيبا إلى عملها نهار السبت، وبينما هي منشغلة في إعداد باقة من القرنفل دخل ثنائي إلى المتجر فاستقبلتهم مارغوري بالترحاب الشديد.

«أهلاً بك ياهايتي، من المفرح ان أراك هنا وبحالة جيدة.»

اجابت السيدة العجوز وهي تمد يدها مصافحة: «أشعر بتحسن كبير يا مارغوري. فكم هو جميل ان أخرج من المستشفى بعد كل ذلك الوقت.»

قالت مارغوري: «بيبا،أتذكرين هايتي، طاهيتنا الممتازة التي عملت لدينا لمدة طويلة وطهت أشهى الأطباق وأطيب أنواع الخبز؟ إذاً اخبريني يا هايتي ماالسبب في دخولك إلى المستشفى؟»

«لقد أجريت عملية في ساقي ودفعت الثمن من جيبي الخاص، لكن بعد ان شعرت بالراحة، اقول انها تستحق كل قرش.»

«ياللروعة.»

«انه حقاً جميل. فلم اعتقد انه سيكون باستطاعتي تحمل النفقات ولكننا عزمنا تيد وأنا على ان نتخلى عن كل شيء وأقوم بالعملية بالمقابل، كما اني ذاهبة لرؤية أحفادي لأول مرة في استراليا خلال اجازة الاعياد.»

قالت مارغوري بعطف: «كم هذا جميل، لابد ان تتشوقين لرؤيتهم.»

لاحظت بيبا انها مزقت لا شعورياً منها ضمة من القرنفل كانت تحملها بيديها وتقوم على ترتيبها، فأسرعت ترميها في سلة المهملات متمنية ان لايكون قد لاحظها أحد.

وبينما كانت هايتي وزوجها يختاران نبتة آزاليا لتضعها أمام باب منزلها،ومارغوري تقوم على خدمتهما، شعرت بيبا بألم حاد في معدتها فاتجهت نحو الغرفة المجاورة.

فكرت بيبا ان هايتي وزوجها قد يكونا من أمثال الذين ضحك عليهم والدها واخذ منهما اموالهما، المساكين الذين لن يحصلوا على شيء الا إذا علمت الشرطة بالأمر.

وبالرغم من انها قالت لوالدها انّ لادعوة لها بالأمر فقد علمت في داخلها انها مسؤوليتها، فمعظم الأموال التي سلبها والدها قد أنفقتها على نفسها وثيابها وحصانها حتى محل الازهار الخاص بها. لقد كانت معنية بالأمر من انها لم تكن تعرف شيئاً عن الموضوع.

مررت يدها على شعرها بعصبية وهي تعرف انها وصلت الى حل واحد وهو ان لا خيار لها وعليها ان تنصاع لأوامر شوان مورغن وتتزوج منه، لابد ان تتزوج شوان مورغن.

الفصل السادس

«قالت السيدة كوربت لابنتها محاولة تسهيل الامر عليها:«لن يبقى الأمر كما هو ياابنتي، باستطاعتك الحصول على الطلاق بعد سنة او اكثر وأنا متأكدة انه عند ذلك سيؤمن لك مدخولاً لابأس به.»

لم تكن بيبا قد اخبرت والديها بموافقتها على شروط شوان والزواج منه، وقالت:«ليس باستطاعتك ان تجزمي هذا يا والدتي فلا اعتقد انه سيطلق سراحي قبل ان يأخذ كفايته مني.»

قالت الأم محاولة إقناع ابنتها«لاتيأسي يابيبا، فالطلاق ليس بالأمر الصعب تنفيذه في هذه الأيام، عدا عن انه يحصل في ارقى العائلات.»

«لقد سمعت ماقاله ياوالدتي، شوان يريد الزواج مني كي ينتقم من العائلة فقط، أهذا هو نوع الزواج الذي كنت تتمنينه لي.»

اجابت والدتها: «بالطبع لاياابنتي، ولكن عليك الاّ تتنكري انه وسيم جداً. ولكن يا للخسارة كنت احلم بأفضل من ابن سكرتيرة لابنتي، لا أعرف... فقط فكري بوالدك وكيف انه سيتحمل وجوده في السجن.»

قال والدها وقد ملّ من اقناعها: «انك حقاً انانية، ولطالما كنت كذلك، اعرف انني لم اخطىء معك. فقد اعطيتك كل شيء ودللّتك وعندما احتجت الى مساعدتك في خدمة صغيرة ترفضين.»

www.elromancia.com

«اتقول خدمة صغيرة يا والدي. انت تقترح علَي الزواج من رجل اكرهه، كما انه يحتقرنا جميعاً ويريدني فقط كي انجب له وريث ليس اكثر. اي نوع من الاباء يمكنه ان يطلب من ابنته الوحيدة فعل عمل مثل هذا؟»

لقد كانت نهاية اسبوع سيئة جداً قضتها وهي تناقش والديها وتحاول اقناعهما مما جعلها تشعر بالتعب الشديد. لم تشعر بالراحة سوى يوم الاثنين حين قررت الخروج باكراً على صهوة فيوري والتنزه في الغابة.

تمتمت بحزن في اذن الحصان:«على الأقل سأستطيع ابقاؤك معي انت وليدي يافيوري في هذا المكان الذي اعتدتما عليه، الحقيقة ان بقائي قربكما يستحق ذلك القرار الصعب.»

لم تسمع بيبا اي شيء عن شوان في نهاية الأسبوع، ولكنها تساءلت ما اذا كان قد اصطحب لوسي إلى العشاء ثانية. ماذا يقصد بذلك، ماذا يعني بالخروج مع فتاة والزواج من اخرى؟ وهل ينوي ان يبقى على هذه الحال بعد زواجهما؟

وعندما تلفظت بكلمة الزواج شعرت بيبا برعشة في داخلها فلطالما فكرت بالزواج ولم تعطِ الأمر أية أهمية، ولكنها حلمت بأن تبني علاقتها مع شريك حياتها عن طريق المساواة والاحترام والانسجام المتبادل.

فكرت بيبا جداً واستنتجت ان زواجها لن يبنى على اي شيء مماحلمت به... كل مافي الأمر ان شوان

سيحاول جهده حتى يحصل على وريث له وستقف هي بالمرصاد، لن تكون آداة للثار من اجل امور حصلت قبل ولادتها، لكنها لن تتراجع فقد اخذت قرارها الأخير.

سمحت بيبا لفيوري بأن يختار الطريق الذي يريده، فهذه الرحلة هي كل ما تحتاج اليه لتعيد الثقة الى نفسها. فتحرم شوان مورغن من الاستمتاع عندما يراها خائفة.

واذا كان شوان قد دعاها بالمدللة الغنية، فستغتنم هي الفرصة وتجعله يشعر انها تزوجته لتنعم باموله عند ذلك سوف تفسح له المجال بالاستمتاع بانتقامه.

وشعرت بيبا براحة كبرى من هذا الاستنتاج، ولكنها سرعان ما فقدت هذا الشعور عندما وجدت شوان ينتظرها امام الاسطبلات.

سألته بحدة:«ماالذي جاء بك إلى هنا؟»

اجابها بلكنته الكندية:«اعتقدت انه المكان الذي سأجدك فيه، كما لاحظت ان حصانك غير موجود ولذا قررت الانتظار لفترة.»

قالت بسخرية واضحة:«آه... ما ألطفك.»

ومضت عيناه بسخرية وقال:«أأنت لطيفة دوماً يا آنستي ام انني السبب في ذلك؟»

طلبت منه بأدب:«اتسمح لي بالمرور،اريد ان اعيد فيوري الى الاسطبل.»

افسح لها المجال قائلاً:«بالطبع، واسمحي لي ان افتح لك الباب ايضاً.»

«شكراً.»

نزلت بيبا عن صهوة فيوري وعندما خلعت قبعتها، علق الدبوس الذي تستعمله لرفع شعرها بالقبعة فتناثر فوق وجهها، حاولت ان تبعده إلى الوراء بسرعة خوفاً من ان يكون شوان قد لحق بها فيراها بهذا الشكل ويبدأ بتعليقاته الساخرة، وادخلت فيوري بسرعة الى مكانه.

لكن ولسوء حظها، اكتشف شوان ذلك لأنها كانت قد تركت الباب نصف مفتوح ورآها.

وقال بسخرية:«أعتقد انني اذا عرضت عليك مساعدتي سأضع نفسي في مشكلة عظيمة.»

رفعت بيبا سرج فيوري ووضعته في مكانه غير واثقة من قدرتها على الكلام. فقد احست ان ثقتها بنفسها قد خانتها مجدداً. تساءلت عن سبب قدومه الى الاسطبل، فلو التقته في المنزل مع والديها لتدبرت أمرها وعرفت كيف تكلمه لكنه على العكس قد فاجأها بمجيئه واربكها كلياً.

حاولت تجاهل وجوده فأحضرت دلواً وملئته بالماء وحين رأته مازال واقفاً مكانه، قالت ببرود شديد:«لماذا لاتصعد إلى المنزل فاني مشغولة في الوقت الحالي.»

ضحك وقال معاكساً: «انتهت اللعبة وليس هناك من مفر، تذكري انه باستطاعتك الحصول على حصانك الثمين وبيتك وكل ماتعودت عليه من رفاهيات الحياة.»

نظرت اليه بازدراء وقالت:«لاأفهم سبب زواجك مني.»

تابعت بصوت متوتر:«فقد اجعل حياتك لاتطاق.»

علّق قائلاً وفي عينيه شر رهيب:«لاشك في انك ستحاولين ذلك ولكني سألقنك بعض الدروس في الاحترام.»

«حقاً؟» ثم استدارت وحملت دلو الماء لتقدمه لفيوري.

تابع بلطف مخيف:«لقد حذرتك مسبقاً الاتضعي نفسك في موضع المواجهة معي، ولكنني اعتقدت انك اصبحت تعرفين طبعي ولذا ستكونين يقظة معي.»

نظرت اليه بصمت واحست بأنها تسمع صوت خفقات قلبها في اذنيها من شدة خوفها وقلقها وفضلت عدم الاجابة كي لايشعر بخوفها.

وعندما لم تجب تابع يقول:«من يعلم ياآنستي، فقد ألقنك بعض الدروس التي لم يحلم بها اصدقاؤك يوماً.»

لاتدري كيف استطاعت الكلام، لكنها لاتستطيع المكوث طويلاً في الاسطبل وتضيع وقتها بخدمة فيوري، فقالت:«اشك في ذلك، والآن اذا سمحت أود الخروج.»

ابتسم شوان ببرودة وفتح لها الباب فخرجت بسرعة واغلقت الباب خلفها بقوة معبرة عن نجاحها في الهرب منه.

خلال لحظات معدودة، خرج شوان وامسك بها وادخلها مجدداً إلى الاسطبل حيث رماها ارضاً وبدأ

بتقبيلها محاولاً تلقينها الدرس الأول. ثم اخذ ينظر اليها بسخرية واضحة دون ان ينطق بكلمة واحدة، بعد ذلك بدأ بالضحك وهو يقول:«عظيم، لكني متأكد بأنك لن تنسي هذه اللحظة ابداً.»

ابعدت نظراتها عنه وقالت:«بالطبع.»ثم ودعها وخرج من الاسطبل. انه لن يكمل مهمته بل سيدخر كل قوته حتى ليلة الزفاف.

لقد شعرت بالخطر يتطاير من عينيه واحست بالعاطفة تظهر في قبلاته مما جعلها تنسى نفسها وكأنها تطير في الفضاء حتى ايقظها من افكارها بضحكته المتهكمة. وقفت بيبا بصعوبة لكنها لم تستطع ان تنسى ما قد فعله شوان بها، فكرت بيبا انه قد بدأ انتقامه منذ الآن وانها اصبحت مستعدة لمواجهته.

اسرعت إلى المنزل ودخلت من الباب الخلفي خوفاً من ان يراها احد وتسللت إلى غرفتها. ومن دون ان تنظر الى نفسها في المرآة، خلعت ثيابها واستحمت في محاولة منها لأن تمحي اثر لمساته.

وبينما كانت ترتدي ملابسها سمعت طرقاً على باب غرفتها فاذا بوالدتها تقول:«هل انت مستعدة بابيبا، لقد حضر شوان.»

«سأحضر حالاً يا والدتي

«ارجوك اسرعي يابنتي فلن ينفعنا شيءاذا جعلناه ينتظر.»

لقد حان الوقت لإعلام والدتها بأنها موافقة، لذا قالت: «دعيه ينتظر فسيحصل على مبتغاه.»

«اتعنين... انك موافقة، آه لقد ارحتني يابنتي، ستكونين سعيدة بالتأكيد.»

قالت السيدة كوربت ذلك بابتسامة مشرقة.

تنهدت بيبا مدركة انهاتضيع وقتها عندما تحاول جعل والدتها ترى ما ليس واضحاً ولكنها لطالما كانت كذلك ولربما بهذه الطريقة فقط، تمكن والدها من الاستمرار في العيش معها.

ارتدت بيبا ثوباً قطنياً زهري اللون ووضبت شعرها بطريقة طبيعية محاولة ان تبدو باردة لكن منعشة ولكن عينيها كانتا جامدتين لأنها ادركت ان المعركة لم تنتهِ بعد.

التفتت الى والدتهاوقالت:«حسناً، لقد انتهيت.»

اجابتها والدتها وهي ترسم ابتسامة الانتصار على وجهها:«تبدين رائعة يابنتي، أنا متأكدة انه سيعجب بك. وفي الحقيقة هناك الكثير من الفتيات اللواتي ترغبن في الزواج منه. فلا تنسي انه اصبح واحداً من اكبر اغنياء المنطقة.»

ومن دون ان تهتم لما قالته والدتها لحقت بيبا بالسيدة كوربت إلى غرفة الجلوس.

كان شوان يجلس مع السيد تشارلز في نفس الغرفة عندما دخلت بيبا، وبخوف وقلق نظر والدها نحوها وكأنه يرجوها ان توافق، للمرة الأخيرة، اما شوان فجلس قرب النافذة مما جعل النظر اليه صعباً.

هتف بها والدها:«آه... ها انت، أهلاً بك يابنتي، اجلسي.»

اجلسها والدها في مكانه بالرغم من انها كانت عازمة على البقاء واقفة ولكنها بدلت رأيها وجلست بعد أن شعرت بوهن في جسمها.

قالت له بلهجة باردة:«مساء الخير ياسيد مورغن.»

اجابها بنفس نبرتها الباردة:«مساء الخير ياآنسة كوربت، اعتقد انك بحالة جيدة.»

«بالطبع وماذا عنك؟»

«جيد جداً ياآنستي.»

«جيد خاصة في هذه الفترة من السنة طبعاً.»

نظر الوالد الى شوان بارتباك ثم التفت نحو ابنته وسأل:«أأقدم لك شراباً ياابنتي، وانت يامورغن هل تريد شيئاً معيناً؟»

اجاب شوان:«ليس لي، شكراً. أعتقد ان والديك متشوقين لمعرفة قرارك بالزواج مني.»

كان يتكلم مع بيبا وكأنه يناقش مسألة تتعلق بالعمل.

شعرت بيبا بالقلق وبالخوف يسيطران عليها، ولكنها رفعت رأسها بشجاعة ونظرت في عينيه واعطته الجواب.

«نعم،سأتزوجك.»قال بنبرة صوت تدل على اللامبالاة:«حسناً.»

تقبل الأمر ببرودة شديدة ولم تبد عليه علامات الانتصار او الانتقام بل نهض من مكانه واخرج علبة مخملية من جيبه.

«لقد اشتريت هذا، فأرجو ان يعجبك.»

ارتجفت اصابعها عندما اخذت العلبة منه وفتحتها، واندهشت بشدة لدى رؤيتها لاجمل خاتم خطوبة في حياتها. خاتم به حجر كريم ازرق رصع بالماس الذي يبهر العين ببريقه.

«اخترت لوناً يناسب عينيك.»

«شكراً جزيلاً، انه جميل جداً.»

أخذت بيبا الخاتم من العلبة ووضعته في اصبعها فانزلق بسرعة ولكنها شعرت في الحال بالسلاسل الحديدية تلتف حولها.

علّقت والدتها بالقول وهي تضحك مسرورة:«لديك ذوق جيد ياشوان، اعتقد انك ستعلن خطوبتكما في جريدة التايمز.»

وافق شوان بقوله:«بالطبع سأفعل ذلك. لكنني سأترك الخيارات كلها لك يا سيدة كوربت.»

اجابت السيدة كوربت:«اعتقد انه من الصواب ان تفعل ذلك، سيكون هناك مصورون بالتأكيد كما اننا سنقيم حفلة صغيرة نجتمع بها مع الأقرباء والأصدقاء فقط.»

فأشار شوان بعدم اهتمام:«كما تريدين ياسيدتي. فعلى كل حال لن تكون مدة الخطوبة طويلة ولكن لنهتم بهذه الأمور مبدأياً.»

قالت السيدة كوربت بشيء من الجزع:«آه بالطبع، لااعتقد ان هناك سبباً للانتظار. أفكرت في تعيين يوم محدد.»

اقترح عليها بهدوء:«مارأيك في أول نهار سبت من شهر سبتمبر؟»

تدخلت بيبا هنا قائلة:«ولكن ذلك يعني بعد اربعة اسابيع فقط!»

«اعتقد انه حتى اكثر من اللازم يا بيبا لاتمام الأوراق الشرعية.»

فقالت السيدة كوربت:«طبعاً طبعاً، معك حق. بالرغم من اننا سنكون على عجلة من أمرنا لكننا سنتدبر الأمر. ما أجمل الزواج في شهر سبتمبر. سنبدأ بالتحضيرات ابتداء من مساء اليوم. تحضير الورود والزينة ليس مشكلة بالطبع، وسوف نضع لائحة بالمدعوين، وأرجو منكما يا بيبا وشوان ان تعلماني بالذي تودان دعوتهم.»

«ارجو الاتزعجي نفسك في ذلك ياسيدتي فلن ادعو احداً للسفر من بلاد بعيدة بهذه السرعة.»

ابتسمت السيدة كوربت وقالت:«آه... يا للأسف.»

رمقته بيبا بغضب شديد متسائلة لماذا لايريد ان يدعو احداً من اصدقائه الى حفلة العرس؟ او انها طبيعة صفقاته التجارية. على اية حال، بامكانه الدخول إلى مجتمعهم ببساطة طالما هو يساوم والدها مقابل فضيحته.

لكن الامر يتعدى هذا، فهو يرغب بها ولن يكون لديها خيار سوى الاستسلام له. ولكن هل سيدوم الامر بعد ان تحمل بطفله؟

«أستبقى للعشاء؟»

«اخشى ذلك ياسيدة كوربت، فأنا مشغول جنلكن الامر يتعدى هذا، فهو يرغب بها ولن يكون لديها خيار سوى

الاستسلام له. ولكن هل سيدوم الامر بعد ان تحمل بطفله؟

«أستبقى للعشاء؟»

«أخشى ذلك ياسيدة كوربت، فأنا مشغول جداً. آه، تذكرت. سوف أتدبر أمر منزل لكم في القرية اثناء شهر عسلنا انا وبيبا.»

قالت السيدة كوربت:«آه حسناً اعتقد انكم ستنتقلون إلى كليرمونت بعد الزواج.»

«بالطبع يا سيدتي.»

فقالت بحسرة وتأسف:«حسناً سيكون من المتعب ان نحزم حقائبنا اثناء تحضيرات الزفاف ولكننا سنتدبر الأمر.»

لم تستطع بيبا الا وان تعجب من تصرفات والدتها التي جعلت من كل شيء يبدو سهلاً وطبيعياً..

نهضت السيدة كوربت من مكانها ووضعت يدها على كتف زوجها ثم قالت وهي تبتسم:«حسناً يا زوجي العزيز من الأفضل ان نترك بيبا وشوان بمفردهما، خذي وقتك يابنتي فسننتظرك قدر ماتشائين على الغداء.»

قال السيد تشارلز عند ذلك:«بالطبع، اعتقد ان كل شيء قد سوي ياسيد مورغون.»

لمعت عينا شوان بخبث وهو يجيب:«سيتصل بك المحامي غيبون ويزودك بالأوراق اللازمة.»

«حسناً سأنتظره.»

تركت بيبا لوحدها مع خطيبها، فحاولت اخفاء

خفقات قلبها خلف نظرات باردة. ولم تحاول النهوض من مكانها خوفاً من ان تقع ارضاً بل راحت تتفحص خاتمها الجميل.

«أيعجبك؟»

اجابت بلطف:«نعم بالطبع فلا بد انه كلفك مبلغاً كبيراً.»

«اعتقد انك خبيرة في تقييم الاشياء.»

تجاهلت النبرة الساخرة في صوته وسألته:«متى اشتريته؟»

«اشتريته يوم السبت.»

شعت عيناها بنظرة حارة وهي تسأله:«هل كنت متأكداً من انني سأقبل عرضك؟»

«طبعاً، كنت متأكداً من موافقتك في ظروفك هذه. فلم اعتقد انك تنوين العيش حياة فقيرة.»

«معك حق، ولكن هناك الكثير من الرجال الذين كانوا سينقذونني من هذه الحياة.»

«كان من الممكن ذلك ولكن كان لابد لي وان اجازف، وكنت متأكداً من انني سأنجح، خاصة انه لو رفضت لكنت لوثت اسم وشرف عائلتك.»

سألته بتوتر:«اتعتقد ان الأمر يستحق ذلك؟ان تثأر من عائلتي هكذا.»

اجابها وهو يبتسم بخبث: «بالطبع يستحق ذلك واكثر، فلو كانت لي شكوكي فقد اكدتها لي هذا الصباح.»

تضرج وجهها حين تذكرت ماحصل معهما في

الصباح وقالت:«ولكن الأمر بيننا لم يدم اكثر من خمس دقائق.»

«ولكنه عنى لي اكثر مما تتصورين، وادركت نوعية علاقاتك الفاشلة.»

حاولت ان يبدو صوتها طبيعياً بعدما اهانها بكلامه:«ماالذي يجعلك تعتقد ان علاقاتي كانت فاشلة.»

«اتقولين ان جيريمي يتعامل معك بطريقة جيدة؟ لقد فاجأتني.»

«اريدك ان تعرف اني لم اكرس نفسي لجيريمي فقط.»

«اعرف ذلك. ولكن دعينا نوضح امراً ما، من اليوم وصاعداً كرّسي نفسك لي فقط.»

«آه طبعاً سأفعل ذلك. ولكن هل ينطبق عليك الأمر، إذا كان كذلك فـ لوسي ستحزن كثير.»

«اتغارين من لوسي؟»

«كلا بالطبع،ولكن ما ليس من حقوقي ليس من حقوقك.»

نظر اليها ببرودة وقال بتعجرف:«اذاً، دعيني اوضح لك شيئاً، صفقتنا ليست متساوية فسأفعل مايحلو لي. اما أنت فعليك ان تطيعيني اولاً وعندما تحملين سيكون ابني انا تأكدي من ذلك.»

اجابت وهي تضحك باشمئزاز:«آه.. حقاً، وكيف ستقوم بذلك، هل ستسجنني في القبو؟»

«سأفعل ذلك ان اضطرني الأمر أو ارهقك لدرجة تنهيك عن التفكير برجل آخر.»

www.elromancia.com

امسكها بمعصمها بكل قوته وجذبها نحوه بعصبية ثم قبلها قبلة بدت كأنها عقاب شديد. واستسلمت بيبا مرة أخرى لقبلة شوان.

وعندما قبلها شعرت بيبا بحقيقة الحب ومعناه الصحيح، احست ان كل مامرت به من قبل لم يكن سوى مشاعر عابرة، معه كان الأمر مختلفاً.

لكن سرعان ماتركها فأحست بضعف كبير وارتمت على الكنبة وهي تشعر بالخسارة مرة أخرى.

«للأسف لانستطيع متابعة هذا الآن...»مشى نحو الباب ثم توقف ليتابع:«على فكرة،جهزي نفسك فأنت مدعوة للعشاء مساء الأربعاء. كوني جاهزة عند الساعة الثامنة.»

«انني مشغولة يوم الاربعاء.»

«الغي كل مواعيدك.»

الفصل السابع

كان من الجنون ان تحتفل بخطبتها قبل ثلاث أسابيع من موعد الزفاف، وتمنت بيبا بينما كانت تقف عند النافذة تراقب مجيء اصدقائها، لو ان بامكانها البقاء في غرفتها وعدم النزول، الا انها استدركت ان تأخرها لن يدوم لأن شوان سيصعد وينزلها عنوة.

ولو فكر شوان قليلاً بعدم استفادته من زواجهما كانتقام من أهلها لخسرت بيبا بدورها. انه الآن في غرفة الجلوس يتعرف إلى أقربائها ويتلقى التهاني وفي الواقع ان زواجهما سيعلن امام الناس لأول مرة هذه الليلة.

اصطحبهاشوان إلى العشاء مساء الأربعاء كما كان قال لها، ولكنهما لم يتبادلا اي كلام سوى أتريدين المزيد من العصير، وهل أنت جاهزة للرحيل؟

وفي طريق العودة، انعطف شوان إلى جانب الطريق ليوقف السيارة وأخذها بين ذراعيه وراح يقبلها ثم تركها ببرودة وانطلق بالسيارة من جديد والصمت يخيم عليهما.

عندها أغمضت عينيها واسندت رأسها على المقعد تائهة بذكرى لمساته التي لا تستطيع نسيانها. لقد أخجلها عدم استطاعتها السيطرة على نفسها والتجاوب معه عندما قبلها. وتساءلت عن سبب انجذابها الكبير إليه والذي جعلها ترغب بالمزيد.

www.liilas-romancia.com

فتح لها باب السيارة لتخرج منه وسألها فيما إذا كانت مستعدة لذلك. حين اومأت ايجاباً، قال لها: «تصبحين على خير.»

استيقظت من افكارها الشاردة حين سمعت صوت الباب يفتح. استدارت نحو الصوت فوجدت شوان واقفاً أمامها.

قال لها: «هل انت جاهزة؟»

«نعم، كنت سأنزل حالاً.»

ادار نظراته في انحاء الغرفة باهتمام وتعجب وبدأ يتأمل الاثاث ذات الطراز القديم والغالي الثمن.

قال:« معلقاً جميلة جداً وقيمة على ما اعتقد.»

رمته بيبا بنظرة ازدراء باردة ولكنها سرعان ما لامت نفسها بعد ان تذكرت مصدر المال الذي وفر لها كل هذه الاشياء الثمينة.

ثم تابع يقول بقصد اذلالها: «إذاً لهذا السبب قبلت الزواج مني، فقد كان من الصعب عليك التخلي عن كل هذا العز والرفاهية.»

تجاهلت تعليقه وقالت بثبات: «إذا كنت مستعداً باستطاعتنا النزول إلى الطابق السفلي.»

نظر اليها متفحصاً وقال: «بالطبع مستعد. ولا اعتقد انك تنتظرينني كي أعلمك بأنك تبدين جميلة جداً.»

نظرت بيبا إليه بتردد متسائلة عن سبب اهتمامه الزائد بها. فلا بد ان الخاتم الذي قدمه اليها جعله يشعر بأنه امتلكها، ولكنه ابتسم بسخرية مما جعلها خائفة اكثر منه.

«لا عليك، فأنت في مأمن... حالياً.»

ولكن الى متى ستكون في مأمن منه؟ إلى أن يجذبها من بين كل المدعوين إلى زاوية منفردة ويعاود محاولته القاسية في اذلالها، إلى متى؟

ارتجفت بيبا عندما وضعت يدها بيده. فقد كان يخيفها إلى حد بعيد وبالرغم من انه بدا متأنقاً في بدلته الرسمية الرائعة إلا أن ملامحه كانت واضحة إلى حد بعيد، إلى حد جعلها تنجذب نحوه بكل مشاعرها.

لا بد انهما يشكلان ثنائياً رائعاً، قالت بيبا في نفسها. ولكنها بالرغم من انتعالها الكعب العالي جداً، لم تقارب حافة كتفه بقامتها. أما ثوبها فكان من الحرير الزهري اللون جعلها تبدو في غاية الاناقة والجمال، بينما وضعت حول عنقها سلسلة ذهبية وفي اذنيها وضعت القرطين الماسيين الخاصين بوالدتها والتمع اصبعها بخاتم خطوبتها الثمين.

وعندما وصلا إلى غرفة الجلوس توجهت الأنظار نحوهما. فرفعت بيبا رأسها بتعال وكأنها بذلك تحاول الافلات من هذه الوجوه المهتمة والمتسائلة.

وبالرغم من وجود صورة جدتها فوق المدفأة فلم تكن تشعر بيبا في أي وقت من الأوقات بالتشابه بينها وبين جدتها مثلما شعرت به هذه الليلة. وعلمت عند ذلك ما قصده شوان عندما شبهها بجدتها واختارها لتكون وسيلة للانتقام. لقد كان الأمر بالنسبة اليها كمن ينظر الى نفسه في المرآة.

لا بد ان شوان قد كره جدتها لكنه لم يستطع شيئاً حيال

الأمر، أما اليوم بعد ان تغيرت الظروف فلن يتردد في رد الصفعة إليها سواء كان ذلك عن طريق الحب المنتقم أو غيره، فليس باستطاعتها الهروب منه ابداً.

شعت الابتسامة على وجه والدها حين قال: «آه... ها أنت يا ابنتي.» ثم حوّل نظره الى شوان وقال: «اعتقدنا انك ستنتظرها اكثر من ذلك.»

أجاب شوان بلطف: «لم نشأ ان ندعكم تنتظرون كثيراً يا سيدي.»

«آه حسناً...» استدار والدها نحو الضيوف وقال: «لن أطيل الحديث معكم أيها الضيوف الأعزاء، فكل ما أود قوله هو اننا نرحب بوجود شوان في عائلتنا. لذا فلنهنىء هذين العروسين ونتمنى لهما مستقبلاً سعيداً.»

قدم العصير وشرب الجميع نخب سعادتهما، بينما بيبا بقيت واقفة مكانها وقد رسمت ابتسامة باردة على وجهها، وكانت تتمنى في داخلها لو أن الأرض تنشق وتبلعها.

تقدمت احدى صديقات بيبا وقبلتها على خدها ثم هنأتها قائلة: «عزيزتي بيبا ألف مبروك. لم أكن أعرف شيئاً عن الموضوع، فأنت لم تذكري شيئاً في حفلة العشاء التي اقامتها سارة.»

«كلا لم أفعل، ذلك لأن الأمور جرت بسرعة.»

ضحكت جيني وحولت نظراتها نحو شوان وقالت بهمس: «حسناً أصدق ذلك! ولكن أين تعرفت عليه فهو مذهل، أتساءل ما إذا كان لديه شقيق يشبهه.»

«أخشى أن أقول لك لا.»

«آه للأسف لا.»

اقتربت مارغوري من بيبا وابلغتها أطيب وأحر تهانيها فقد كانت أول من عرف بالأمر ولكنها شعرت ان هناك شيئاً غير واضح لأن الأمر قد تم بسرعة قصوى، وبالرغم من انها لم تسأل شيئاً لكن بيبا كانت متأكدة من انها ستكون دائماً جاهزة لتقديم المساعدة لها.

«أتمنى لك كل السعادة يا بيبا.»

«شكراً يا مارغوري.»

تبعتها لوسي فتقبلت بيبا التهاني منها بامتعاض ورمت شوان بنظرة هائمة، لكنه لم يظهر شيئاً تجاهها بل تجاهلها فكأن مراقصته لها في تلك الليلة في المطعم والعشاء الذي دعاها إليه لم يعنيا له شيئا، أما إذا اعتبرت لوسي ان بيبا امرأة متسلطة تسرق الرجال، فتكون هذه المرة الثانية التي تسمع فيها هذه الجملة بعد جيريمي.

«أتمنى ان تحظي بحياة سعيدة يابيبا.»

كان من الصعب على بيبا ان تقف بقرب شوان تتقبل تهاني أصدقائها وابتسامتها المتصنعة لا تفارق وجهها في الوقت الذي يقف فيه شوان وهو يعاني من الضيق لالتقائه باناس غرباء عنه. لكنه بدا مرتاحاً وغير مبالياً أبداً.

ولفت انتباه بيبا ردة فعل جيريمي تجاه خطوبتها من شوان، لقد كان متجهم الوجه فالبرغم من ان علاقتهما لم تكن جدية يوماً فهو لم يتقبل الأمر ببساطة. لذا راحت ترقب بحذر تحركاته وانفعالاته.

اجبر جيريمي نفسه، بالرغم مما كان يشعر به، بالاقتراب لإلقاء التحية والتهاني وأخذ يمازح شوان في طريقة ودية ومهذبة. «اعلم ياسيد انك أصبحت أقل الشبان شعبية في هذه المنطقة.»

اجاب شوان ببساطة: «أفهم ذلك يا جيريمي ولكن بما انني جديد في المنطقة قررت ان أخاطر بشعبيتي لعلني احظى بشيء أفضل.»

ضحك جيريمي وقال: «من المؤكد ان شيئاً من ذلك لن يحدث. هل تسمح لي بتقبيل العروس؟»

«بكل رحابة صدر ياجيريمي.»

شعرت بيبا بانزعاج كبير للطريقة التي أخذ جيريمي وشوان يتحدثان بها عنها، فقد جعلاها تبدو كجائزة يحظى بها من يفوز في مباراة.

وبالرغم من انها كانت قبلة سريعة وباردة، شعرت بيبا بارتياح كبير عندما ابتعد عنها جيريمي. وتساءلت كيف انها استطاعت ان تتحمله من قبل، فقد شعرت الآن كم انه ضعيف.

بعد ان انصرف جيريمي جذبها شوان إلى جانبه ونظر إليها بطريقة ساخرة معلقاً: «يبدو انك لم ترتاحي بهذه القبلة أبداً، على كل حال من الجيد ان أعرف انك لم تندمي على عدم زواجك من جيريمي.»

التمعت عيناها من سخريته واجابت: «لم أقل يوماً بأنني كنت أنوي الزواج منه مع انه رجل جيد وسيجعل من أية امرأة يتزوج منها سعيدة. فهناك أكثر مما تفكر به في الزواج.»

لم يجدر بها قول ذلك، فحاولت ان تتحاشى عينيه بخفض نظراتها نحو الارض. ولكنه لامس ذقنها بيده وأدار وجهها إليه ليقول بحدة: «انت امرأة مميزة غير باقي النساء، وجيريمي ليس الزوج المناسب لك. يلزمك رجل قوي وقادر على تحقيق رغباتك كلها ليس كجيريمي.»

«تقصد رجلاً مثلك؟»

«تماماً رجل مثلي.»

ومن دون أي إنذار ضمها بين ذراعيه وقبلها أمام الجميع مبرهناً لجيريمي ولكل من حوله ان هذه التحفة الثمينة قد أصبحت ملكه الآن.

وعندما أفلتها من بين ذراعيه أدارت رأسها لترى كل من في الغرفة ينظر اليها مستعلماً عما كان يحصل حتى قبلها امامهم. فاحمرت وجنتاها خجلاً ولم تعرف ماذا تفعل.

اول ما خطر ببالها، هو ان تبتعد وتختبيء عن الجميع، لكن شوان امسك بيدها بقوة وكأنه ادرك ما يجول في خاطرها.

قالت بصوت منخفض: «أكرهك.»

ضحك بلطف وقال: «أعرف ذلك. وهذا ما يضفي رونقاً على علاقتنا لأنه لا يمكنك منعي من فعل اي شيء. وأخيراً فرداً من آل كوربت يدفع الثمن غالياً باستسلامه لي. لا أحد يعلم ربما قد ينفعك هذا، فكما يقولون الغضب يؤدي إلى تأسيس شخصية قوية.»

«آل كوربت ليسوا بحاجة إلى دروس لتأسيس شخصياتهم منك.»

قال عندئذ بسخرية: «آه... عفواً سامحيني. فلقد نسيت ان سلالتك كباقي الارستقراطيين حصلت على لقبها عن طريق السرقة والغش ولا بد ان هذا يجري في عروقكم حتى الساعة.»

رمقته بنظرة حادة ثم اشاحت بوجهها عنه وراحت تحادث بعض اصدقائها.

عند حلول الساعة العاشرة، وجدت نفسها واقفة بين جيريمي وبيتر اللذين حاولا الانضباط والمحافظة على الرسميات في حفلة كهذه.

نظرت بيبا نحو جيريمي وقالت بشيء من التردد: «شكراً يا جيريمي.»

«على ماذا؟»

«شكراً على تقبلك لكل الأمور برحابة صدر، فلا بد ان الأمر كان كالصدمة بالنسبة اليك.»

«آه... حسناً لا أشعر بالحزن أبداً فهو شاب طيب وسنبقى أصدقاء بالتأكيد.»

«أتمنى ذلك يا جيريمي، لكن الأمر ليس كما يبدو فأنا... فأنا لم...»

لاحظ في الحال الدموع التي ترقرقت في عينيها وقال: «ما بك يا فتاة، تمالكي نفسك، ما الأمر؟»

شعرت فجأة بدافع قوي لأن تخرج ما في قلبها، فقالت: «أنا آسفة... ولكن أنستطيع التكلم قليلاً... وليس هنا بالطبع.»

لقد طلبت ذلك من جيريمي لأنها لم تجد أمامها سواه إذ ان مارغوري كانت قد غادرت مسبقاً بسبب

طفلها الموجود في البيت، ولوسي من غير المعقول ان تسلمها اسرارها.

بحثت عن شوان فرأته واقفاً عند طرف الغرفة يتكلم مع لوسي ووالدتها وفي نفس الوقت يراقبها بكل حذر خوفاً من ان تبتعد عن نظره فتقوم بأي عمل أحمق.

«أعتقد انك تحتاجين الى بعض الهواء المنعش يا بيبا من الافضل ان نخرج قليلاً الى الحديقة.»

«لا أستطيع فقد يراني أحد في الخارج.»

«وماذا في ذلك؟ لن يفكر بك أحد بأي سوء.»

توسلته قائلة: «اسبقني أنت إلى الخارج وسألحق بك عندما تسنح لي الفرصة، انتظرني امام البيت الصيفي.»

«يبدو لي الأمر غامضاً، ولكن لا اعتقد ان خطيبك سيغضب لهذا الحد فنحن في القرن العشرين.»

«أعرف هذا يا جيريمي، ولكن أرجوك اسبقني وسألحق بك.»

«حسناً لا تخافي، سأراك بعد قليل.»

وبعد قليل شعرت بالامان من نظرات شوان التي كانت تلاحقها، استطاعت ان تخرج من غرفة الجلوس وتسللت بسرعة إلى البيت الصيفي بالرغم من وجود بعض الأشخاص في الخارج، كان جيريمي ينتظرها هناك ورأته من خلال الظلام.

فقال معترضاً: «ماذا هناك يا بيبا؟ لقد اعتقدت انك ستدعيني أنتظر طوال الليل هنا.»

نظرت إلى الخلف بسرعة، ثم قالت: «آسفة جداً، هيا ندخل.»

www.elromancia.com

بعد ان جلسا جنباً الى جنب قال لها بلطف: «حسناً. ماذا هناك يا بيبا، ما الذي خشيت اطلاعي عليه في الداخل هناك.»

احتارت من اين ستبدأ بحديثها، ثم قالت: «آه... أتذكر ماأطلعتني عليه الأسبوع الماضي، الموضوع المتعلق بأعمال والدي؟»

«نعم بالطبع أذكر. ولكن ما علاقة هذا بذاك.»

«كل شيء يا جيريمي، فوالدي كان يخدع الناس ويستعمل أموالهم لمصاريفه الخاصة.»

«ماذا تقولين؟ هذا عمل إجرامي.»

اجابته بقلق: «نعم. فلقد اعتقد انه سيعيد كل شيء الى صاحبه بعد أن يرث جورج ولكن شوان حصل على كل شيء بدلاً منه.»

«آه، سيسبب ذلك المتاعب الكثيرة.»

«لن يحصل شيئاً من هذا فقد علم بالأمر واشترى كل شيء.»

«اشترى كل شيء؟ هذا عمل نبيل منه.»

أجابت بمرارة: «لا لم يكن كذلك، فهو يكرهني ويكره عائلتي بأسرها... وخصوصاً جدتي. ولكنه فعل ذلك كي يتزوجني وبذلك ينتقم منا جميعاً.»

أحست بيبا بأسى عميق في داخلها وحاولت كبت الدموع في عينيها ولكنها لم تستطع. فانهمرت على خديها بسرعة فأزالت المساحيق التي كانت قد وضعتها على وجهها.

عندهااعترض جيريمي قائلاً:

«انتبهي الى سترتي، خذي منديلي فهو نظيف.»

أخذت بيبا تضحك لدى سماعها كلمات جيريمي الساخرة وهذا ما جعلها تتأكد من انه لم يكن يحبها فارتاحت لأنها لم تسبب له الاذى او الحزن من جراء الزواج من غيره.

ثم قال بعبوس: «آسف إذا كنت لم أفهم بسرعة، ولكن أتقولين انك ستتزوجين من هذا الرجل لتبعدي والدك عن المشاكل؟»

نفت بحركة من رأسها وقالت: «كلا، فأنا لا أهتم بأمره أبداً، انما أفكر في هؤلاء الفقراء الذين استثمروا كل ما يملكونه مع والدي وهو الآن مفلس ولن يستطيع ان يعيد اليهم قرشاً واحداً.»

وافقها جيريمي قائلاً: «معك حق، فجميع هؤلاء المستثمرين هم من الناس البسطاء وخسارة أموالهم ستكون بمثابة كارثة لهم.»

«أعرف ذلك ولذا وافقت على الزواج من شوان.»

«أتعنين انك لا تحبينه أبداً؟»

اغرورقت الدموع من جديد في عينيها وقالت: «هذه هي المشكلة، فأنا احبه ولكنه يكرهني.»

«مهلاً يا بيبا لا تزعجي نفسك، فأنا متأكد من انك مخطئة، كان ينظر إليك كما لو انه مستعد لأن يقتل أي رجل قد يقترب منك.»

«أعرف ذلك ولكن هذا لا يعني انه يحبني. فماذا أفعل؟» واسندت رأسها على كتفه وهي تجهش بالبكاء.

وضع يده على رأسها وبدأ يربت على شعرها

ليخفف عنها، ثم قال: «لا عليك يا بيبا لا تبكي فستسير الأمور على ما يرام فعلى الأقل أنا أحبك.»

«شيء مؤثر جداً.»

كان صوت شوان يدل على ان الغضب العارم يسيطر عليه وهو يقف عند مدخل البيت الصيفي ويرمقهما بنظرة ازدراء وسخرية.

حاول جيريمي توضيح الامر بقوله: «آه... أنا آسف. فلا أريدك ان تسيء فهمي.»

«كلا، فسوء فهمي لن يسبب أية متاعب.»

فقال جيريمي بارتباك: «اسمع يا شوان، اعتقد انك تود التحدث مع بيبا... لذا فسوف أنصرف.»

«افعل ذلك.»

غرقت بيبا في قلقها وخوفها بعد ان انصرف جيريمي، فكان عليها ان تدرك انه لن يستطيع حمايتها ولكنها كانت تعلم انه لم يقصد ما قاله، بل فعل ذلك لأنه كان الشيء الأنسب للقيام به في تلك الظروف.

وخفق قلبها بتوتر حين نظرت الى خطيبها وحاولت الدفاع عن نفسها. تلعثمت بيبا حين قالت: «أنا... أنا آسفة. كنا... كنافقط...»

قاطعها قائلاً: «اعفيني من التبريرات، من المفروض ان تشكريني على تخليصك من هذا الوغد وليس البكاء لرحيله.»

ولما اقترب منها نفرت بسرعة خوفاً من ان يبدأ بافعاله المعتادة.

قال لها باشمئزاز: «كلا، ليس لدي النية بأن ألمسك

بعد ان لمسك جيريمي بهذه السرعة، ولكنني لن أتركك هنا بل سأصحبك إلى غرفتك حيث تصلحين من شأنك مجدداً كي تبدين لائقة.»

أمسكها بذراعها ليخرج بها من المنزل الصيفي، فرمقته بنظرة تعبة ولكنه تابع طريقه مبتسماً لكل من ظهر أمامه وكأنه يريد ان يعلم الجميع بأنه هو من بعثر شعرها بهذه الطريقة.

سألها: «أهناك سلم خلفي؟»

اومأت برأسها ايجاباً واشارت الى الاتجاه خوفاً من ان يحاول تقبيلها كما كان يفعل دائماً، ولكنه لم يكن يفكر في ذلك أبداً. وتساءلت ما إذا كان قد غيّر رأيه بالنسبة للزواج منها.

عادت الدموع تترقرق في عيني بيبا، لقد قالت الحقيقة لجيريمي من انها تحب شوان كثيراً. اقفلت قبضة يدها وبدأت تلمس خاتم الخطوبة بأصابعها. لقد تعودت على وجود الخاتم في اصبعها مع انه لم يمر عليه سوى اسبوع فقط. فقد تأكدت من انها تحب شوان وانها تكره خسارته. فهي مستعدة أن تعيش معه في هذه الطريقة على ان لا يهجرها ابداً.

كان السلم الخلفي يؤدي إلى القسم الأعلى من المنزل وحين وصلا إلى غرفتها نظرت بيبا إلى شوان وبوادر الأسف العميق ترتسم على وجهها حين قالت: «شوان، أرجوك أنا... أنا متأسفة.»

ابتسم بغموض وقال بخبث: «خائفة؟ من المفروض ان تخافي. فقد حذرتك من ألا يلمسك رجل غيري، ومن

حسن حظك ان المدعوين ما زالوا هنا فلولا ذلك لجعلتك تدفعين الثمن حالاً ولكني سأضيف هذا على الحساب، في اثناء غيابي...»

قاطعته قائلة: «هل انت راحل الى مكان ما؟»

«سأعود إلى كندا في صباح الغد.»

«ولكن... إلى متى؟» شعرت بالألم يعتصرها، ماذا إذا حصل ونسي كل شيء عنها عندما يصبح في كندا ويلتقي بأصدقائه القدامى؟ ماذا إذا نسيها ونسي صفقته المجنونة؟

نظر اليها بعينين ضيقتين وقال: «لا تخافي لن أغيب أكثر من اسبوعين فعليّ تسوية بعض الأمور المتعلقة بعملي وشقتي وسأعود في موعد الزفاف.»

«آه... لا اعتقد انه من المناسب أن ترحل الآن.» ثم تابعت بصوت بارد: «لدي الكثير من الفواتير المتعلقة بالزفاف وهناك أمور أخرى لم أبدأ بها بعد.»

«أعتذر. ولكن غيابي ضروري.» مد يده في جيبه واخرج منها بطاقة اعتماده وهو يتابع: «إليك بطاقة الاعتماد هذه، استعمليها متى شئت وبقدر ما تريدين فستجدين فيها أكثر مما قد تفكرين في انفاقه.»

«شكراً جزيلاً، اعتقد ان هذه البطاقة ستحل المشكلة كلياً.»

«إذاً، حصولك على بطاقة الاعتماد يجعل من وجودي غير ضروري أليس كذلك؟ ولكني أنصحك بالاستمتاع بحريتك في هذين الاسبوعين لأني سأعود لأضعك تحت طاعتي. والآن جهزي نفسك فسأعود بعد ثلث ساعة

لآخذك لنودع المدعوين الأعزاء كأي ثنائي شديدي الانسجام.» ابتسم بسخرية ثم استدار وخرج من الغرفة بهدوء.

ارتمت بيبا على سريرها بضعف تفكر بأمر واحد، وهو وضعها الحزين وموقفها البائس من رجل تحبه لكنه يكرهها وينوي الزواج منها بعد ثلاثة أسابيع.

www.elromancia.com

الفصل الثامن

ضمن جوٍ من البهجة والسرور وسماء الصيف الصافية تَم زواجهما، فاجتمع كل أهل القرية لمشاهدة العروسين في عربتهما الجميلة خصوصاً ثوب العرس الابيض الذي ترتديه بيبا والذي زاد من جمالها واناقتها،وكذلك الوشاح الابيض الطويل الذي اخفى وجهها.

لقد أثرت ضغوطات الآونة الأخيرة على بيبا، الأمر الذي جعلها تخسر من وزنها بضعة كيلوغرامات، مما جعل عيناها تبدوان اكبر من حجمها الطبيعي. اما فستانها الذي صممته احدى الخياطات الشهيرات في بوشامب فقد اخيط مجدداً عند الخصر حتى يلائم جسدها الذي اخذ بالنحول.

كان شوان قد عاد من كندا قبل الزفاف بيوم واحد، كانت تتوقع منه الاتصال بها أو حتى مكاتبتها، لكنه لم يفعل شيئاً من ذلك. وقد تابعت التحضيرات للزفاف وهي غير متأكدة فيما لو العريس سيحضر الحفل أو لا.

خرج والدها من العربة وقد بدا بكامل اناقته بالبذلة الرمادية اللون وقال:«حسناً ها قد وصلنا.» كان في صوته علامات الارتياح فشعرت بيبا بالغضب الشديد تجاهه، ان همه الوحيد هو النجاة بنفسه حتى ولو على حساب تعاسة ابنته.

لقد ارتسمت علامات الشيخوخة على مظهر والدها في الاسابيع الماضية بعد ان فرض عليهم شوان العيش في كوخ صغير عند آخر القرية. ولكن والدتها ادعت بأن هذا الكوخ كافٍ اكثر من اللازم لهما وليسا بحاجة الى مكان اكبر من هذا لشخصين، وسوف ينتقلان لإقامة فيه بعد زواج بيبا.

بالنسبة لبيبا، فقد كانت تشعر بجفاف في حلقها بينما قلبها يخفق بشدة. لم تنم نوماً طبيعياً ليلة البارحة واخذت تحلم احلاماً مزعجة رأت فيها شوان يقضي عليها ليلة زفافهما. ارتجفت يد بيبا الآن عندما مد والدها يده لكي يصحبها الى عريسها.

نظرت بيبا حولها، فوجدت لوسي تحدق بها. كانت لحظة حرجة بالنسبة اليهما وقد فضلت لوسي ان تتجنبها، ولكنها لم تستطع لأنهما صديقتان عزيزتان منذ طفولتهما، والكل يعرف ذلك.

شعرت بيبا بغيرة عميقة، فلطالما اعتبرت لوسي فتاة رقيقة ولطيفة قد تضمد الجروح بعد لسعة حادة. كما انها لم تنس اهتمام شوان بها وعدم اعتباره لزواجهما حاجزاً يردعه عن الارتباط بأي امرأة اخرى.

تقدمت لوسي من بيبا بارتباك متغاضية النظر في عينيها واخذت ترتب فستان بيبا معبرة عن اعجابها بهذا الفستان الرائع.

كانت بيبا محط انظار الجميع ما عدا عريسها شوان الذي وحده لم يلتفت لينظر الى جمال عروسه في ثوبها الأبيض الرائع. كان يرتدي بذلة انيقة تشبه بذلة

www.liromancia.com

والدها وعلامات اللامبالاة ترتسم على محياه الجميل، وبدل ان يكون هذا أجمل يوم في حياتها، شعرت بانقباض شديد ضيق على انفاسها.

اختار شوان واحداً من اصدقائه ليكون احد الشهود. القت بيبا عليه نظرة سريعة، فوجدته يتفحصها بكل دقة وفضول.

كان هذا الشاهد يشبه شوان في قامته الطويلة والرياضية، اما معالم وجهه فتعبر عن شخصية منفتحة ومحببة لكنه في الوقت الحاضر، ارتسمت على وجهه علامة استفهام وكأنه يتساءل عن هذا الوضع الغريب الذي علقت فيه.

بعد ان تمت مراسيم الزواج، شعرت بيبا بيدي شوان الباردة تمسك بيدها لتضع في اصبعها الخاتم الذهبي، لقد أصبحت زوجته الآن.

رفع شوان الوشاح الابيض عن وجهها ونظر في عينيها بطريقة حادة غير متسامحة، ثم مال نحوها ليقبلها قبلة باردة.

بعد ان ارتفعت اصوات المهنئين، في قاعة الاحتفال، وجدت بيبا نفسها قرب صديق شوان الذي قدم لها كرسياً لتجلس عليه معتذراً عن تأخره في التعرف اليها ومعرفاً عن نفسه.

«بول كاربنتر.»

ابتسمت له وقالت باحترام:

«كيف حالك يابول. انا سعيدة لتمكنك من الحضور في هذه السرعة.»

«لم يكن من الممكن أن أفوت مثل هذا الحدث، وبالنسبة للسرعة في هذا الزواج، عرفت الآن سببها، انك رجل محظوظ ياشوان.»

اجاب شوان ببرود:«ألست كذلك يابول؟»

فكرت بيبا بسعادة هذه اللحظة التي اصبح فيها اسمها السيدة بيبا شوان مورغن.

سألت بيبا محاولة كسر الصمت:«هل أنت متزوج يابول؟»

اجاب بول:«نعم،ولدي طفلين أيضاً، وزوجتي لم تتمكن من المجيء لأننا ننتظر المولود الثالث في تشرين الأول(اكتوبر) وقد نصحها الطبيب بعدم الخروج من البيت ولكني أتمنى ان تزورينا في وقت قريب... هل ستقوم بذلك ياشوان؟»

أجاب شوان:«بالتأكيد.»

ساورت بيبا خيبة الأمل ولم تغب عنها نبرة التحفظ في صوته، وتساءلت عن سبب ابعاد شوان اصدقائه عنها .لابد لأنه يخشى ان ينفضح أمره، فيعرف الجميع حقيقة زواجهما.

كان شوان قد استلم وثيقة الزواج من رجل الدين واخفاها في جيبه.

علق لسبب من الاسباب وشاح بيبا بالكرسي، فطلبت من شوان التوقف قليلاً حتى تسحب الوشاح. فانحنى شوان ليسوي الوشاح، عندها شعرت بالدوار لوقوفه قربها، قررت ان تتظاهر بالإغماء حتى يأخذها بين ذراعيه ولكنها طردت هذه الفكرة من رأسها بسرعة.

كانت في تلك الاثناء تعزف الموسيقى الخاصة بالزفاف، واضطرت بيبا ان تظهر فرحها العميق في مناسبة كهذه.

التقطت الصور التذكارية مع المدعووين لتحفظ للأيام المقبلة، لذا ظلت تظهر السعادة والفرح وتبتسم للجميع بينما قلبها يقطر دماً.

قال لها شوان بسخرية:«جيد جداً، تبدين كوربت أصيلة تحاول المحافظة على المظاهر حتى آخر دقيقة.»

همست بحدة:«هل تريد ان يلاحظ الجميع كيف انك اجبرتني على الزواج منك؟»

تصنع الدهشة وهو يسألها:«اجبرتك؟ أنا لم اجبرك. لقد اخترت انت ذلك بملىء ارادتك.»

قالت بمرارة:«آه... معك حق، فلو لم اقبل لانتهى الأمر بوالدي في الشارع.»

اجاب باستهزاء:«آه... ماألطفك! تبدين كالإبنة المساعدة والمطيعة ولكن لاستطيع ان افكر انك فعلت ذلك من أجل والديك.»

دهشت وقالت:«ماذا تقصد؟»

قال ببطء وثقة:«تعرفين ما أقصده، فأنت تريدينني ولايمكنك انكار ذلك، لقد لاحظت مدى انجذابك لي منذ المرة الأولى التي تقابلنا فيها.»

خفق قلبها بشدة حين سمعت اعترافه بأنه يعرف بشعورها نحوه.

لكنها نفت ذلك بقولها:«لابد انك تمزح. فلولا

الفوضى التي رمى والدي نفسه فيها لما فكرت بك ابداً ولما فعلت ذلك.»

ضحك بخشونة ثم قال:«تقولين لما كنت فعلت ذلك؟ على العكس اعتقد انك كنت ستفعلين ذلك لاذلالي تماماً كما فعلت جدتك.»

وعندما حاولت الابتعاد عنه، امسك بيدها قائلاً:«كلا لن افلتك، ليس قبل ان اقرر ذلك بنفسي فأنت ملكي الآن. لا تهتمي بشيءابداً ستحصلين على مبتغاك قدر المستطاع.»

حفل الاستقبال هذا انشغل به الطباخين طويلاً لاعداد المأكولات، كما اهتمت مارغوري باحضار الورود حتى بدا كل شيء رائعاً ماعدا العروس التي شعرت انها قد سجنت لمدى حياتها.

جلست بيبا مع شوان إلى مائدة الطعام غير قادرة على لمس اي نوع من الاطعمة. ولكنها شعرت بالضعف عندما سمعت صوت شوان. وفكرت انه بعد بضع ساعات سيتوجهان الى روما ليمضيا شهر العسل القصير وهناك في غرفتهما سينتقم منها انتقامه العنيف.

ظهر والدها بلياقته فوقف بين الجميع محاولاً القاء الكلمة المناسبة ترحيباً بصهره الجديد.

بعدما انتهى والدها من القاء كلمته، جلس ليقف شوان بعده والقى كلمات موجزة ومضحكة امام كل المدعوين، وادركت بيبا من كلماته المبطنة انه عندما قال بأنه لن يفلتها ابداً، كان يقصد ذلك حقاً.

www.elromancia.com

التفت شوان نحو لوسي وبطريقة لطيفة طلب منها ان تشرب نخب الفتاة الجميلة التي تجلس إلى جانبه.

خجلت لوسي كثيرا من لفت نظر المدعوين لها واخفضت رأسها، نظرت بيبا الى اقصى الطاولة ورأت جيرمي مقطب الوجه، لابد وانه متعجب من تصرف شوان ومن المؤكد سمع ان شوان قد خرج مع لوسي قبل اعلان خطوبتهما بأيام، وبعد ان عرف حقيقة وسبب زواجهما بدأ يشك بنواياه تجاه صديقة زوجته الحميمة.

كان جلوس بيبا بين الناس عذاباً بحد ذاته، لأنها وجدت صعوبة من كثرة الابتسام المزيف امامهم. وذلك مخافة ان ينتبه احد منهم الى حقيقة هذا الزواج السخيف.

انهى شوان خطابه وعندما وقف صديقه لالقاء كلمته، اتجهت انظار الجميع إليه بفضول، فماالذي يعرفه هذا الشاب الكندي عن ابن جورج مورغن كي يمدح مزاياه.

راح بول يمازح المدعوين ويضحكهم بنكاته الطريفة عن اهل كندا لدرجة ان بيبا نسيت كل ماتعاني منه وهي تشارك الجميع بالضحك.

راح بول يخبرهم عن حياة الشرطة وكيف ان شوان قد انقذ حياته مرة.

فقال شوان ضاحكاً:«لاتجعل الجميع يلومني على بقائك على قيد الحياة يابول.»

تابع بول يروي قصته: «كنا نلعب كرة القدم التي تختلف عن لعبتكم هنا بل تشابه تلك التي في اميركا،

وكانت مباراة حازمة وعلينا ان نفوز لنحصل على الجائزة.»

أحب المدعوون بساطة بول، فأخذوا يضحكون معه ويبدون كل الاهتمام لما يقوله.

«كنا في المرحلة الرابعة من المباراة وبحاجة لنقطة واحدة للتغلب على الفريق الآخر، وعندما كان من المتوقع ان التقط الطابة بيدي انزلقت مني كأنها دهنت بالزبدة. شعرت بأن امري قد انتهى وبأن الجماهير سيضجون احتجاجاً، ولكن هذا الشاب ظهر من حيث لاأدري والتقط الطابة وراح يركض بها وانقذ حياتي.»

ضحك الجميع مطولاً وعندما هدأوا، تابع بول:«كانت هذه المرة الأولى التي ينقذ فيها حياتي، اما المرة الثانية، فقد حدثت بعد مرور عدة سنوات، عندما كنا في طائرة، ولسبب ما تعطلت هذه الطائرة وهوت بنا في احدى الخلجان، ارتطم رأسي بشيء حاد، فأمسكني شوان واخرجني منها الى ان جاء فريق الانقاذ لنجدتنا.»

كان الكل يصغي بانتباه شديد، بالرغم من انهم لم يتوقعوا منه ان يتكلم على هذا النحو في مناسبة كهذه.

«انما المرة الثالثة فقد كانت في ليلة العيد حيث اجتمع الكل مع عائلاتهم ما عدا شوان وانا، لقد انقذني عندما كنا نلاحق عصابة في عملية سطو وتلقى الرصاصة بكتفه بدلاً من ان اتلقاها في رأسي لذا استطعت قضاء ليلة العيد مع اطفالي بينما بقي شوان في المستشفى للعلاج. وشوان مازال يحمل الجرح في

كتفه وانا مازلت على قيد الحياة حتى اخبركم هذه الحادثة.»

«لكنك لم تخبرهم عن المرات التي انقذت خلالها حياتي يابول.»

ردد بول كلمات شوان وهو يضحك:«لااعتقد انك تتوقع ان اجعل الجميع يلومني على بقائك على قيد الحياة.ولكنها الحقيقة بالطبع فقد انتشلته من بعض المصاعب ايضاً. فمثلاً عندما قرر العودة إلى انكلترا تساءلت عما إذا كان يستطيع تدبر امره من دوني، ولكن عندما حضرت ورأيت هذه الفتاة اللطيفة...» والتفت نحو بيبا وتابع بصدق:«تأكدت أنها ستهتم به اكثر من أي شخص كان.»

• • •

بعد ساعتين، كانت بيباوشوان في طريقهما إلى المطار للسفر إلى روما. فجلست بيبا صامتة تتذكر كل ما رواه بول من احداث.

لم تتفاجأ بيبا مما قاله بول، فقد عرفت منذ اللحظة الأولى انه بالرغم من كونه عدواً لدوداً فلا بد وان يكون له صديقاً وفياً لدرجة المخاطرة بحياته.

شعرت بالفخر والاعتزاز من شوان الى درجة كبيرة، وتمنت لو ان بامكانها ان تقول له كم هي مرتاحة وسعيدة لتركه هذا العمل الخطر ولكنها لم تكن قادرة على ذلك.

قالت له:«لقد اعجبني صديقك بول ياشوان.»

أجاب دون اكتراث:«جيد.»

«من المؤسف ان زوجته لم تستطع الحضور.» قالت بيبا ذلك لتخفف من وطأة الصمت الذي لفهما منذ مغادرتهما الحفل.

«نعم من المؤسف ذلك.»

«هل تشعر بتحسن في كتفك؟»

اجابها بهدوء: «نعم على ما يبدو.»

«ألهذا السبب انتقلت للعمل المكتبي؟»

«نعم.»

لاحظت بيبا ان طريقته في الاجابة كانت مختصرة جداً ولم تظهر بأنه يهتم في متابعة الحديث بينهما، لذا صمتت واخذت تستمتع بقيادة شوان المرحة التي تختلف كلياً عن طريقة قيادة جيريمي، لقد كان شوان يتمتع بأسلوب قيادة رائع كما كان يتمتع بأسلوب خاص في تأدية أي عمل من الاعمال.

اخذت بيبا تراقب يدي شوان وهو يقود السيارة.لقد كان يسيطر سيطرة تامة على السيارة، تلك اليدان سبق ان ضمتها وعذبتها... وتاهت بيبا في الذكريات حتى شعرت بالجفاف في حلقها.

نظر اليها وعلامات الاستفهام على وجهه، فشعرت بالخجل وحاولت ان تخفي ما كانت تفكر به بقولها:«اشعر ببعض التشنج.»

قال بسخرية:«كعكة العرس.» تذكر شوان كيف قطعوا قالب الحلوى الجميل في حفلة العرس وكيف ان بيبا كادت ان تقع عليه.

تذكرت بيبا ايضاً كيف ان والدتها اقتربت واعلمتهم ان زينة الطبقة العليا لقالب الحلوى تحفظ حتى ولادة المولود الأول.

طفل... الطفل الذي سيرث شوان من بعده، والذي عازم على الحصول عليه منه، لقد قال انه يمتلكها الآن وسيحصل على مراده. ومن يدري، فلربما قربهما هذا الطفل من بعضهما البعض في المستقبل.

نظرت بيبا من خلال النافذة عندما اقتربا من موقف المطار، حاولت اخفاء الدموع التي ترقرقت في عينيها، انها لاتريد البكاء في ليلة زفافها، من المفروض ان تكون هذه الليلة اجمل ليلة في حياتها.

الفصل التاسع

أوصل سائق سيارة الاجرة شوان وبيبا إلى الشارع الجميل الذي يقع فيه الفندق، وكانت بيبا قد زارت في السابق مدينة فيا فيتوريو فينيتو الايطالية في عدة مناسبات وأحست انها منطقة جميلة لقضاء شهر العسل، لكن شهر العسل هذا، لن يكون ابداً كما حلمت به.

مرا بجانب ساحة فيتوريو ايمانويل التاريخية التي شعت انوارها مضيئة الجو، فاجتزبت السياح من كل مكان.

ازدحمت الطرقات بشدة وراحت السيارات تتجاوز بعضها الآخر بسرعة فتسمع اصوات الزمامير وصراخ السائقين ولكن هذا كان أمراً طبيعياً في روما وبيبا قد اعتادت عليه إلى ان وصلوا إلى الفندق بسلام.

اسرع حاجب الفندق وفتح باب السيارة فنزلت بيبا وشكرت الرجل. كان فندقاً فخماً ذو جدران جميلة وأرض رخامية وإنارة تبهر العين. عندما وصلوا إلى قاعة الاستقبال ألقى الموظف هناك تحيته الحارة بعد ان تذكر بيبا من رحلتها السابقة.

قال الموظف لها باللغة الايطالية: «آه... آنسة كوربت أهلاً وسهلاً، كيف حالك؟»

«بخير والحمد لله، كيف حالك أنت.» اجابته بنفس لغته.

«انا بخير يا سيدتي، لم أكن أعلم اننا سنكون

www.elromancia.com

محظوظين بوجودك هنا مرة أخرى، وبالرغم من ان اسمك غير موجود فلا تهتمي فسأحاول تأمين أفضل غرفة لدينا هنا.»

«آه... لا عليك، لا بد انك لم تنتبه للحجز لأنه بإسم زوجي، هل لي بتقديمك إليه.» نظرت الى زوجها وتابعت كلامها باللغة الانكليزية: «شوان هذا اميليو مساعد المدير، اميليو هذا زوجي.»

رمقها شوان بنظرة ساخرة فلم تفهم سببها. وبعد ان انتهت الترتيبات اللازمة، اقترب الحمال وحمل حقائبهما، ثم مشى امامهما ليدلهما على الجناح الخاص بهما.

عندما دخلا المصعد، قال شوان:« كان عليّ ان أعلم انك تجيدين اللغة الإيطالية بطلاقة، فأين تعلمت ذلك؟ في معهد ثقافي؟»

اجابت ببرود: «لم اتلق ثقافتي في المعهد، وأظن أنه السبب الذي دفعك لتتزوجني... من اجل ثقافتي.»

ابتسم هازئاً وقال: «نعم، هذا بالاضافة إلى أمور أخرى.»

اشتعلت وجنتاها خجلاً، فلم تكن بحاجة لتسأل عن الأمور الأخرى التي دفعته للزواج منها.

كان الجناح يقع في الطابق العلوي، يتألف من غرفة جلوس واسعة مفروشة على الطراز الايطالي المحض مع ابواب مزدوجة تؤدي إلى غرفة نوم كبيرة ذات النوافذ الواسعة المشرفة على حدائق بور غيز المتلألئة بأضواء المدينة.

اقتربت بيبا من النافذة لتشاهد المنظر الخلاب بعد ان تركها الحمال مع شوان لوحدهما مع نظراته الباردة والمرعبة، عندها تجمدت خوفاً وتسارعت دقات قلبهابشكل ملحوظ.

لمحت بيبا صورة شوان في زجاج النافذة، كان يقف عند باب الغرفة ويضع يديه في جيبي سترته ويراقب تحركاتها ببرودة وهو يبتسم بسخرية، لأنه احس بمقدار توترها وعصبيتها.

«اتودين ان تشربي شيئاً؟»

«شكراً لك، المياه المعدنية فقط، إذا كانت متوفرة.»

قال بتهكم:«يبدو ان لديهم كل شيء. والدتك كانت لتحب هذا المكان.»

نظرت إليه نظرة تأنيب حادة ولكن قبل أن تفكر بأي شيء لتقوله، قرع الباب، فاندهش الاثنان معاً ونظرا الى بعضهما بتعجب.

«أدخل.»

فتح الباب ودخل النادل يجر عربة وضع عليها آنية فضية فيها ابريق شراب الورد وكوبين، مع بعض الورود الحمراء الجميلة. فرحت بيبا كثيراً واستدارت نحو شوان مبتسمة لهذا التصرف الرومانسي من شوان والذي تظاهر بعدم معرفته بهذا الأمر.

لكن النادل فاجأها بقوله:«هذه للسيدة مع تحيات المدير.»

شعرت بخيبة أمل كبيرة، لكنها تمكنت من القول:«آه.. شكراً جزيلاً.»

نظر شوان اليها وقال:«اعتقدت انني من طلبها.»

«نعم، ولكن بشك.»

ضحك قائلاً:«حسناً، اعتقد انك تفضلين هذا على المياه المعدنية.»

«كلانا يفضلها بما انها هنا.»

صب الشراب البارد في الكوبين وهو يقول:«طبعاً فمن المؤسف ان نضيعها، نخب ماذا تفضلين ان نشرب، سعادتنا المستقبلية؟»

«من الصعب علي ان اعتقد ذلك.»

«إذاً فلنشرب نخب الليلة فقط عسى ان تكون مثمرة.»

«علَي ان اوافق في ذلك، فلعلك بعد ذلك تدعني وشأني.»

«ليس باستطاعتك الاعتماد على ذلك، قد افكر في تأسيس عائلة كبيرة.»

«لاعتقد ذلك فقد كان الاتفاق ان تحصل على وريث واحد وهذا كل ماستحصل عليه.» استدارت بيبا ودخلت غرفة النوم وأغلقت الباب خلفها، ثم اغمضت عينيها في محاولة للسيطرة على خفقات قلبها المتسارعة.

ولحسن حظها ان شوان لم يلحق بها، وعندما فتحت عينيها وجدت نفسها في غرفة فخمة ذات سقف عالٍ طلي بلون زهري ومدفأة رخامية مليئة بالورود في مثل هذا الفصل من السنة، اما الأرض فغطت بالسجاد الأحمر، والنوافذ اسدلت ستائرها المخملية فاضفت جوا حالماً.

ولكن أكثر ما اثار دهشتها هو السرير الذي فرش

بغطاء حريري. لقد فات الاوان للهرب الآن فكل الطرقات مسدودة امامها هذه الليلة وعليها مشاركة زوجها هذا الجناح والخضوع إلى ارادته.

ارتعشت بيبا عندمااستدركت ان هذا ماارادته، وهو ان تستسلم له فيفعل بها ما يشاء.

لقد وقعت في الفخ وليس لديها من مهرب منه، فدخلت بسرعة إلى غرفة الملابس حيث وضعت حقائبهما واخذت توضب ثيابها في الخزانة.

استحمت بيبا وسرحت شعرها ولكنها لم تستطع البقاء في الداخل طوال الوقت لذا ارتدت قميص النوم وأخذت نفساً عميقاً وفتحت باب غرفة الملابس.

كانت حقيبة شوان، مازالت مقفلة، وفتحت بيبا باب غرفة النوم المضيئة، ورأت شوان جالساً يشاهد التلفاز. وعندما دخلت نظر شوان نحوها بطريقة مبهمة واشار لها لتتقدم نحوه.

«لقد استغرقت وقتاً طويلاً، فقررت استعمال الحمام السفلي.»

«أنا.. أنا آسفة.»

نظر اليها بازدراء ثم قال مستهزءاً:«تبدين جميلة، تعالي إلى هنا!»

اتجهت بيبا نحوه بطريقة آلية وبطيئة، فرأت أثار الرصاصة على كتفه. ارادت ان تقترب منه وتلمس جرحه لتخفف عنه، لكنها عجزت عن ذلك.

«جميل جداً ثوبك.»

تابع شوان تحديقه بها ولأطول فترة ممكنة بقصد

تعذيبها، لقد ربح المعركة ويريد ان يجعلها تدفع ثمن كل اخطاء أهلها.

ثم قال فجأة:«لقد انتهى وقت الألاعيب وهنا ستبدأين بتسديد ديونك.»

اقترب منها بسرعة فصرخت لشدة خوفها ودخلت إلى الحمام واقفلته وراءها.

فتح شوان الباب بكل قوته فلم تجد مهرباً سوى الزاوية، لكنه اقترب منها من دون أي انذار وادناها منه من دون شفقة متجاهلاً قبضتاها التي هوت عليه ضرباً.

«تستطيعين مقاومتي قدر ماتشائين، لكن عليك ان تعرفي بأنني استمتع بذلك.»

ثم تابع مستهزئاً:«يمكنك التصرف كالسيدة اللائقة لكنك تريدنني بقدر ماأريدك... فقد كنت تشتعلين شوقاً منذ لقائنا الأول.»

حاولت بيبا الابتعاد عنه قدر المستطاع لكنه اقترب منها اكثر وقبلها.وراحت حرارة الشوق تذيب غضب شوان وتحوله الى حنان وعطف.

سرعان ما عاود شوان طريقته القاسية، فشعرت بيبا بذل عميق، فهي لم تشأ ان ينال منها بحقدٍ وكراهية، ارادت ان تكون زوجته الحبيبة وليس اداة للانتقام. فصرخت وابتعدت عنه.

«اعتقد ان الوقت قد تأخر على الندم، فلقد وافقت مسبقاً على شروطي.»

قاومت الدموع التي ترقرقت في عينيها وقالت:«أعلم.... ولكنني آسفة.»

اظلم وجهه حين قال:«متأسفة؟هذا ما اعتقدته أنا أيضاً، فأنت تعرفين انني لن اجبرك عُلى شيء. ولكن لماذا؟أما زلت مغرمة بجيريمي، إذا كنت كذلك فإنسي الأمر، لأنني امهلته ثلاثة أسابيع كاملة فلو كان يحبك حقاً، لاسرع لنجدتك. لكنه لايحبك ولذا فهو لايستحق دموعك.»

عندها تساءلت بيبا،ألهذا السبب تركها وحيدة حتى الدقائق الأخيرة ليوم العرس؟كي تتأكد من انها لن تحظى بمساعدة أحد أبداً.

ثم تابع:«حسناً الآن، لننهي هذه المهزلة وسنتكلم بالأمر في الصباح، سأنام في غرفة الجلوس.»

راقبته وهو يخرج من الغرفة، فجلست على السرير وسمحت للدموع تنهمر من عينيها وهي تمسك بالوسادة بين ذراعيها كأنها تمسك بشوان.

ولكنها شعرت بألم في داخلها فلا شيء يحل مكان شوان. ارادت ان يعود اليها ويضمها ولكن ماذا كان يعني بانتهاء المهزلة؟ هل كان يقصد هذه الليلة، ام قطع حياتهما معاً؟

ارادت ان تخرج الى الغرفة المجاورة، لكنها لم تكن تملك الشجاعة الكافية لذلك، انها تريده ان يعرف بأنه اخطأ فهم دموعها وانه هو من تحب فقط...

ولكن هذا ليس حلاً لأن علاقته بها لم تكن تلك العلاقة العاطفية الرقيقة، انها علاقة يطغي عليها طابع الانتقام وهذا ماسيزيد الحالة سوء.

• • •

كان الجو بينهما بارداً عند تناول طعام الفطور في صباح اليوم التالي، فبينما شربت بيبا فنجان القهوة، بالكاد أكل شوان فطوراً كاملاً مؤلفاً من الحليب والبيض وبعض المعجنات.

سألها ببرودة:«ألن تأكلين شيئاً؟»

اجابته وهي تبعد نظرها عنه:«كلا، فلست جائعة.»

«حسناً،انت الخبيرة في هذه المنطقة. فما الذي تودين رؤيته؟»

«تقصد رؤية المشاهد الطبيعة.»

«بالطبع.فعلينا القيام بأمر ما لتمضية الوقت، أو أنك تودين العودة إلى الوطن؟»

لمعت عيناها من الدهشة لكنها ابعدت نظرها عنه مجدداً وأجابت متلعثمة:«كلا،لانستطيع ذلك. فلن ينتقل والدي إلى منزلهما قبل يوم الاربعاء.»

«إذاً لقد سوي الأمر. فلن اسكن مع والديك في نفس المنزل. إلى أين تودين الذهاب؟»

«حسناً.هناك المتحف الوطني لكنني اعتقد انه يقفل نهار الأحد.»

«المتحف؟»

«نعم.فهناك متحف فني وجوقة سيستاين.»

«آه... جوقة سيستاين، يجب أن نرى ذلك.»

«نعم ولكنها ستكون مقفلة ايضاً لذا علينا زيارة السوق القديم.»

بدا غير مهتم حين قال:«حيث الآثارات؟»

«انه مكان رائع جداً. وباستطاعتنا الذهاب الى الكولوسيوم من هناك.»

لحسن الحظ استمتع شوان برؤية الاثارات حتى انه اشترى الكتاب الخاص بالاثارات، وراح يقرأ بصوت عال المعلومات التي جاءت فيها.

وقررا ان يذهبا مشياً نحو الباثيون فاتجها متبعين الخارطة التي بين ايديهم.

وعندما وقع نظره على اثارات الباثيون هتف قائلاً:«اه..مدهش، مذهل رائع.»

ابتسمت بيبا مسرورة من حماسه وقالت:«حسناً،نحن لانبعد كثيراً عن البيازانافونا.»

«ولكن ماذا يوجد هناك؟»

«هناك ينابيع المياه المعدنية والمطاعم.»

ضحك شوان من ملاحظتها وقال:«تشعرين بالجوع الآن؟حسناً فلنذهب ونرى الينابيع.»

أكلوا فطائر الكانيلوني وهما جالسين إلى طاولة على الرصيف والشمس تستطع بأشعتها الجميلة على المباني الأثرية،وبعد ما انتهيا من تناول طعامهما، توجها الى نبع تريفي الذي رمم مؤخراً والذي يعتبر أكثر مكان رومانسي في روما. عند انتهاء جولتهما دخلا الى احد المطاعم المنتشرة وتناولا الشاي. ثم تابعا سيرهما وشاهدا محلات الزهور الرائعة حتى غابت الشمس واصبحت السماء داكنة.

لازمهما الجو الهادىء حتى ساعة تناولهما طعام العشاء في مطعم الفندق الفاخر،من ثم شربا القهوة وعادا الى جناحهما.

حين دخلا المصعد ودت بيبا لو يقترب شوان منها

www.elromancia.com

ويضمها بعطف وحنان وينسيا كل ماحصل ليلة امس، ولكن عندما شعرت به يقترب منها انتفضت وابتعدت عنه. لقد كرهت نفسها على فعلتها هذه فقد جعلته يبتعد اكثر من أي وقت آخر.

«اتمنى لك احلام سعيدة.»

احست بالغصة تحرقها والالم يعتصر في قلبها. قالت له بصوت حزين:«عمت مساءً.»ثم استدارت ودخلت غرفة النوم.

الفصل العاشر

لقد مضي على زواجهما اكثر من ستة اسابيع، فكرت بيبا بينما كانت تقف امام نافذة غرفة نومها، كان زواجها اتعس مما كانت تتصور.

كان من النادر وجود شوان في المنزل، وكان يقضي اكثر اوقاته منشغلاً بالأعمال التي ورثها عن والده، ووجدت بيبا نفسها مضطرة لتلعب الدور الذي عينه لها مسبقاً، ولا يجتمع بها إلا اذا كان هناك ضرورة اجتماعية حيث وجب ان تتصرف بلباقة وتتحدث بلطف الى ضيوفه. ولكنه لم يحاول لمسها مرة واحدة بعد تلك الليلة المشؤومة في الفندق.

والسبب في ذلك كان واضحاً، فقد كان شوان يخرج بصحبة لوسي ولم تصدق بيبا ذلك إلى ان سمعت الخبر من الناس وفي كل انحاء المنطقة، فإذا كان شوان يريد اذلالها أمام الجميع فقد نجح في ذلك.

لذا قررت أن تبدي نوعاً من اللامبالاة طال الست أسابيع حيث تعامل الواحد منهما مع الآخر بتهذيب شديد وكأنهما غريبان.

عندما كانت تسمع خطواته في الممر، كانت تسرع بيبا الى النافذة لتراه وهو يغادر المنزل قبل نزولها لتناول الفطور ويعود معظم الأوقات متأخراً في الليل،لكنها لم تستطع تتبع اخباره، فبالرغم من انه

كان يدعي انشغاله في العمل لساعات طويلة، فقد عرفت انه يقضي وقته مع لوسي.

في احدى الايام سمعت صوت خطواته كالعادة، فخرجت بيبا من غرفتها لتراه ينزل على السلم.

فاندهش لرؤيتها، لكنه قال بلهجة باردة:«صباح الخير، اعتقدت انك خرجت لتمطي الحصان.»

حاولت ان تعطيه عذراً مقبولاً:«سأذهب بعد لحظات. ولكنني تساءلت ما إذا كنت ستحضر على العشاء.»

نظر اليها بدهشة وقال:«ولماذا؟ هل الأمر مهم؟»

تظاهرت بعدم المبالاة وقالت:«كلا، ابداً ولكنني اردت ان اعرف ما سأقوله للسيدة ميلر.»

أجاب وقد اصبح في اسفل السلم:«في هذه الحالة من الأفضل ان تقولي لها اني لن اكون في المنزل.»

راقبته بيبا وهو يرتدي معطفه ويحمل حقيبته بينمااسرعت السيدة ميلر لتفتح الباب له. استدارت بيبا لتدخل غرفتها من ثم دخلت إلى الحمام وخلعت ثيابها وأخذت حماماً ساخناً.

تملكها الحزن والغضب في آن واحد، ولم يكن لديها من ادنى شك مع من سيمضي شوان ليلته. لكنها لم تكن تتصور ان أعز صديقاتها ستبدأ بالخروج مع زوجها وهم في أولى ايام زواجهما، فمهما كانت تصورات لوسي تجاه علاقة جيريمي بفيليبيا، لم تتصور انهاستنتقم بهذه الطريقة.

امتطت صهوة فيوري للحظات معدودة عبر طرقات فرعية ورملية،لكنه كان يكره الطريق الموحلة، واخذ

يعبر لها بطريقته الخاصة عن عدم انسجامه بهذه الرحلة الصباحية. لذا اعادته إلى الاسطبل الدافىء وتوجهت نحو المنزل والافكار تتضارب في ذهنها.

عندما وصلت إلى باحة المنزل تناهى الى سمعها صوت رنين الهاتف، فاسرعت لتجيب قبل ان ترد السيدة ميلر من المطبخ، وتفاجأت بصوت جيرمي على الطرف الآخر من الخط.

«أهذا أنت ياجيرمي؟يبدو وكأنني لم اسمع صوتك منذ سنين طويلة، كيف حالك؟»

ذكرها قائلاً:«لا بل منذ اسبوع فقط ومارغوري ايضاً.»

تنهدت قائلة:«آه.. معك حق، فالوقت يمر ببطء شديد،بالمناسبة كيف حالك؟ ولما تتصل بي؟»

«كنت أتساءل ما إذا كنت بحاجة لعربتك في نهاية الاسبوع. لقد انكسرت عربتي وسيتطلب تصليحها وقتاً طويلاً.»

«كلا لست بحاجة إليها. فمتى تمر لتأخذها؟»

«سأمر يوم الجمعة.»

«حسناً، ماذا عندك لمساء اليوم؟»

«لاشيء ضروري.» وبدا جيرمي متأففاً وعرفت بيبا السبب. لم يجدر به ان يدع لوسي تفلت من يديه، اما الآن فهي منشغلة مع شخص آخر.

طرأت على بال بيبا فكرة، فسألته:«حسناً،هل يمكننا الخروج إلى العشاء معاً؟»

أجاب وكأنه غير متأكد:«نعم..نعم بالطبع. سيكون جميلاً. ولكن متى؟»

www.elromancia.com

«الليلة، سألقاك في النادي عند الساعة الثامنة.»

«أليس هذا مكاناً عاماً؟اليس بمقدورنا الذهاب إلى أي مكان آخر.»

فسألته بشيء من التحدي:«لماذا؟»

«حسناً، اذا كنت لست قلقة فلماذا اقلق أنا اذاً.»وافق جيرمي على كلامها وهو يحاول معرفة اللعبة التي تلعبها.وفكر، اذا كان شوان يخرج مع لوسي، لماذا لايخرج هو مع زوجة شوان؟

لذا تابع كلامه قائلاً:«اذاً،سألقاك عند الساعة الثامنة ياعزيزتي.» وقد ادرك جيرمي، كما كانت تدرك هي مغزى لعبتها، فبإغاظتها لشوان سيغيظ هو بدوره لوسي ويستفيد الاثنان على الأرجح.

• • •

قال جيرمي والشرر يتطاير من عينيه:«فقط انظري إليه يابيبا، كان من الممكن ان يأخذها إلى مكان بعيد عن الأعين.»

انهما بدورهما كانا في مكان عام، فالنادي هو أكثر الأماكن شعبية في المنطقة. لكنها لم تهتم فهو من بدأ في ذلك عندما قرر الخروج مع أعز صديقه لديها.

ارشدهما النادل إلى طاولة في آخر القاعة، وعندما رأتهما لوسي يمران من امامهما خجلت، اما شوان فنظر ببرودة وعدم مبالاة إليهما، ثم راح يحادث لوسي بطريقة حميمة ودافئة.

تمتم جيرمي بغضب:«ماذا يعتقد نفسه فاعلاً؟ لقد جعل من لوسي حديث المقاطعة بأجمعها.»

علقت بيبا قائلة:«اعتقد انها تعي جيداً ماتفعله.»

«هل تظنينها واعية؟انها ليست سوى فتاة بريئة امام هذا الرجل الجزار.»

لم ترد بيبا لفت انظار شوان، لذا قالت:«لاتستمر بالنظر نحوهما بل حاول ان تتجاهل وجودهما.»

«كم أود أن اسحق اسنانه.»

تنهدت بيبا لواقع الوضع الذي تعيشه، فزوجها وحبيبها يفكر في امرأة واحدة هي لوسي هارينغتون.

لقد كان أسوأ عشاء تناولته في حياتها ليس بالنسبة للطعام فقد كان ممتازاً والخدمة ايضاً كانت ممتازة، انما لوجودها مع جيريمي إلى نفس الطاولة وتحمل ارتباركه وقلقه طوال الوقت، الأمر الذي افقدها شهيتها.

عندما انهيا قهوتهما نظر جيرمي الى لوسي وشوان فرآهما يهمان بالنهوض، فقال لبيبا:«انهما يغادران، هيابنا يابيبا.»

ولم يهتم جيرمي لاعتراض بيبا بل وضع رزمة من المال على الطاولة دون أن يعدها وأمسك بيبا من يدها وجرها خلفه إلى موقف السيارات.

كان شوان في تلك الاثناء يفتح باب السيارة للوسي فصرخ جيرمي:«هاي مورغن، إلى اين تعتقد نفسك ذاهباً معها.»

نظر شوان اليه بدهشة وقال بسخرية:«ومنذ متى بدأت تهتم بالأمر؟»

«منذ الآن.»

نظر شوان الى زوجته بغضب ثم حول نظره عنها وهو يقول:«قد اسألك عن سبب خروجك مع زوجتي ولكنني لست مهتماً.»

وصل غضب جيريمي إلى أقصى حد، انقض على شوان محاولاً ضربه. فصرخت بيبا بذعر لكن بعد فوات الاوان، لأن شوان كان اسرع منه فرمى به أرضاً.

صرخت الفتاتان في الوقت نفسه:«جيرمي!» ولكن لوسي هي من اقتربت منه وامسكت بيده قائلة:«هل اصبت بمكروه ياجيرمي؟»

تعجبت بيبا فلم تكن تعتقد ان لوسي متقلبة لهذا الحد. ولكن سرعان مانسي جيريمي وجود بيبا كما نسيت لوسي وجود شوان.

قال شوان:«اعتقد انه علينا ان نتركهما سوياً الان.»

«ولكن...»

«سيكون بخير، فلم أؤذيه كثيراً وستوصله لوسي إلى بيته.»

نظرت بيبا إلى شوان مأخوذة لردة فعله الباردة تجاه تصرف لوسي. فلا بد انه قد خطط لإغاظة جيريمي كي يحصل ما قد حصل ويعود جيريمي إلى لوسي.

دخلت بيبا سيارة شوان ونظرت إلى شوان بتساؤل شديد، أي نوع من الرجال قد تزوجت؟تارة يكون قاسياً وثائراً وتارة أخرى لطيفاً ومهتماً لمشاعر فتاة بالكاد يعرفها. فمن هو شوان مورغن الحقيقي.

لقد كان شوان قاسياً وثائراً تجاهها هي وعائلتها، فقط لأنه اعتقد انهم يستحقون ذلك. فهل بامكانها افهامه انها تختلف عما يعتقده بها؟ كان عليها ان تفعل هذا منذ البداية قبل فوان الآوان.

بقي شوان مشوش الفكر حتى وصلا إلى المنزل وبانت على فمه ابتسامة ساخرة عندما فتح لها باب السيارة. سبقته بيبا إلى المنزل، لكنها ترددت في الصعود إلى غرفتها وبقيت تنتظره في الردهة. فهناك العديد من الأمور لمناقشتها ولكن الأمر كان مستحيلاً منذ يوم عودتهما من شهر العسل.

عندما دخل ووجدها بهذه الحالة، قال لها بهزء:«لاتقلقي ستتخطين هذا الأمر، لقد خسرت واحداً من معجبينك ولكن هناك الكثير غيره.»

ألم يكن مهتماً لخروجها مع رجل آخر للعشاء؟ بالطبع لا، فقد كان يعرف ان جيريمي مازال معجباً بلوسي ولابد انه فرح لاغاظته ولإظهار غيرته.

رفعت رأسها بتعالٍ وقالت:«اعتقد اني سأذهب مباشرة إلى السرير، عمت مساءً.»

«عمت مساءً.»

علمت بيبا انه من المستحيل ان يضمها بين ذراعيه ويأخذها إلى غرفته وهو يعيش في لامبالاته، لذا لم يكن باستطاعتها شيئاً سوى تجميع شتات نفسها والصعود إلى غرفتها.

• • •

حسدت بيبا كلاً من جيريمي ولوسي عندما دخلا إلى محل الورود فقد بدت عليهما علامات السرور والحب يجمع قلبيهما، ولكنها فرحت في داخلها لرؤية أعز صديقين لديها مجتمعين اخيراً.

شعت نظرات لوسي عندما قالت:«آه... بيبا! أردنا ان نخبرك فوراً، اعني...» ثم رفعت يدها لتظهر الخاتم الماسي.

قبلتها بيبا قائلة:«لن أكون أسعد مما انا عليه الآن فانتما خلقتما لبعضكما البعض.»

اعترف جيرمي قائلاً:«تطلب الأمر صفعة على الوجه حتى لاحظت ذلك، بالمناسبة انا متأسف بخصوص ليلة أمس.»

«لاعليك، إنس الأمر.»

قالت لوسي بلهجة اعتذار:«انا آسفة يابيبا. فبخصوص شوان وأنا... أعني لم يكن هناك شيئاً بيننا ابداً، كل مافي الأمر ان شوان كان لطيفاً معي وانا متأكدة من حبه لك.»

غيرت بيبا دفة الحديث قائلة وهي تبتسم لصديقيها:«اذاً متى يوافق اليوم السعيد؟اعتقد انكما تعرفان من اين تأتيان بالورود.»

««بالطبع نعرف وأريدك ان تكوني مرافقتي تماماً كما خططنا منذ أيام الدراسة.»

«هل خططنا لذلك؟»كانت بيبا فرحة لكونها ستصبح جزء من هذا الزفاف الا انها تذكرت كيف كان الحال معها يوم زفافها.

أخذت بيبا تفكر في الشهرين الماضيين وماحصل اثناءها، ولكنها لم تستطع معرفة خطأها.

بعد ان خرجا سألتها مارغوري:«ماالأمر يابيبا؟»

ابتسمت بسرعة وقالت:«آه.. لاشيء يامارغوري، اتستطيعين تدبر امرك لوحدك؟ أود الخروج لنصف ساعة.»

وافقت مارغوري بطيبة خاطر:«طبعاًيابيبا، فالمكان هادىء ايام الخميس.»

«شكراً.»

حملت بيبا مظلتها ومعطفها بسبب هطول المطر وقررت الذهاب مشياً إلى شركة شوان غير واثقة بعد السبب من وراء ذهابها ولكنها شعرت بحاجة ماسة لرؤية زوجها.

* * *

«آه. آنسة... اقصد سيدة مورغن، السيد شوان يتحدث على الهاتف.»

ابتسمت بيبا وسألتها:«أأستطيع ان أدخل وانتظره حتى ينتهي؟»

«بالطبع.»

تعجبت بيبا عندما عرفت ان شوان اصبح مدير شركة مورغن، فلا بد ان الموظفين يثقون به كثيراً حتى انتخبوه رئيساً بهذه السرعة.

وعندما دخلت مكتبه دهشت بيبا مرة أخرى لسماعة يتحدث الفرنسية بطلاقة على الهاتف. جلست على اريكة

وأخذت تتأمل التغيرات التي أضافها على الغرفة منذ آخر مرة رأتها.

لقد بدل الأثاث بآخر رسمي وانيق، وعلق على الجدران الرسوم الكلاسيكية الحديثة بدلاً من القديمة، مما جعلها تعجب بذوقه الرفيع.

انهى مكالمته الهاتفية ثم التفت اليها بعينين غامضيتين وسألها:«حسناً، ماسبب هذه الزيارة اللطيفة؟»

لم تعرف بماذا تجيبه، فهي لاتدري سبب هذه الزيارة، ولكنها تفوهت بأول ماخطر في بالها، لعلهما يعودان صديقين.

«لم اكن أعلم انك تجيد اللغة الفرنسية.»

اجابها:«خمس وعشرون بالمئة من سكان كندا يجيدون الفرنسية كلغة اساسية.»

«نعم، اعتقدت ذلك.»

«ولكن لااعتقد انك اتيت إلى هنا لمناقشة ازالة الحواجز التجارية.»

«آه.. كل لكنني اردت ان ابدل ستائر غرفة الجلوس، وفكرت انك قد تود رؤية بعض الأنواع.» واخرجت من حقيبتها بعض النماذج من القماش.

«آه.. المزيد من التغيرات في المنزل؟»

اجابته وهي تحاول تذكيره بالكلام الذي قاله:«لقد اعربت عن عدم انسجام الأحمر والذهبي الذي وضعته والدتي وقد سمحت لي بإنفاق المال على المنزل.»

«نعم لقد حصل ذلك وانت تحاولين التقيد برأيي.»

«إذا تعديت حدودي في انفاق المال أعلمني بذلك ولكن التصليحات في غرفة ميلر كانت ضرورية.»

قال دون مبالاة:«لن أبدي أي اعتراض، شؤون البيت من اختصاصك فافعلي به ما تشائين لقد كان هذا جزءاً من اتفاقنا.»

«شكراً، يبدو انك لاتراني مناسبة لشيء آخر.»

سألها بتهكم:«لأي شيء تعتقدين نفسك مناسبة اذاً؟»

احست بالسخرية في سؤاله، وقد عرفت بأنه يريد ان يذلها ويعذبها، لكنها قالت:«انت لاتتكلم معي ابداً، انت لاتسألني اي شيء عن عملي في محل الازهار، او عن فيوري او... تقول لي اي شيء عن امور الشركة...»

«وهل أنت مهتمة بأمور الشركة؟»

«بالطبع، اشعر ان باستطاعتي المساعدة هنا في الشركة.»

سألها مستفسراً:«كم تجيدين الإيطالية؟»

«ماذا تقول؟»

«هل باستطاعتك ان تكوني مترجمة للشركة؟»

«اعتقد ذلك، فقد بقيت مع عائلة ايطالية في فلورنس لستة اسابيع بعد ان تخرجت من المدرسة. لماذا؟»

تراجع بكرسيه الى الوراء ونظر اليها مفكراً ثم قال: «أفكر في بدء بعض الأعمال مع اوروبا.هناك جماعة ستحضر مساء هذا اليوم لمناقشة الوضع. اتستطيعين مرافقتهم لمدة ساعة حتى أستطيع الانضمام اليهم؟»

احست بالسعادة لأنه سيتركها تعمل معه، وهذه

فرصة هي بحاجة اليها لربما استطاعت التقرب منه. فقالت له:«بالطبع.اذا كنت بحاجة لي البوم فسأخبر مارغوري بالأمر وآتي. لااعتقد ان هناك اية مشكلة، فعادة أيام الخميس أيام ركود.»

قال لها بثقة:«حسناً، لم أكن أرغب بمجيء احد غريب للعمل معي.»

اقترب بكرسيه الى المكتب وامسك بيده قطع القماش وسألها:«اذاً، أي نوع من انواع القماش قد اخترت؟»

«اخترت اللون الزهري والاخضر لأنهما مناسبان جداً مع لون الاريكة، كما انني رأيت سجادة صينية رائعة فيها نفس الالوان.»

وافق على رأيها بقوله:«لابأس بهذين اللونين فهما افضل بكثير من ذوق والدتك التي حولت المنزل إلى قصر باكينغهام في الآونة الأخيرة.»

«انها طريقتها في اختيار الاشياء.»

• • •

في طريق عودتها بسيارة الشركة، فكرت بيبا بالسبب الذي جعل من اعضاء شركة مورغن يثقون بشوان، ربما هو لايجيد التعامل في الأمور الإدارية لكنه دقيق الملاحظة وسريع البديهة ويملك قدرة عظيمة على الاقناع.

وفي المساء، استقبل شوان رجال الاعمال ورحبت بيبا بهم بلغتهم الايطالية، انما باقي المحادثات جرت باللغة الانكليزية وسرعان ماعرف شوان ان وجودها بينهم قد منعهم من مناقشة أي شيء بلغتهم أمامها.

ولدى مراقبتها له من وقت لآخر، شعرت بيبا بحزن وألم في قلبها، لقد بدأت تحبه من كل قلبها وتساءلت ماإذا كان سيشعر نفس الشيء حيالها في يوم ما.

أخذت تمطر وهم في طريقهم لزيارة منطقة في غرب المدينة، بينما اخذت الاشجار تتمايل امامهم. وعندما اقتربوا من المكان الذي يقصدونه، لمحوا بعض الأولاد يلعبون في الخارج ولكنهم سرعان ماالختبأوا عندما ظهرت السيارة.

قال شوان لضيوفه:«حسناً، هذه هي المنطقة ولكنها تبدو في فوضى حالياً. تبلغ مساحتها سبع وثلاثون هكتار وفيها استثمار لمدة عشر سنوات كما انها معفية من الضرائب. والطريق الاساسية تبعد خمسمئة يارد هناك خلف الاشجار.»

قال احد الرجال الايطاليين:«مذهل ياسيد شوان. وتبعا للخرائط، يبدو انك تنوي شق طريق خاص يصل إلى الطريق العام.»

اومأ شوان برأسه بالايجاب وقال:«كان هذا طلبي عندما حصلت على رخصة البناء.كماسيتم فيما بعد نقل العائلات للسكن هنا كي تزدهر المنطقة...»وسكت عندما تعالى صراخ صبي فجأة:«ارجوك ياسيدي لقد سقط تومي في الحفرة.»

اسرع شوان بالخروج من السيارة وطلب من الصبي ان يحضر له حبلاً طويلاً، وعندما عاد سأله:«هل اصيب بمكروه؟»

«لاأعرف، فالمكان مظلم وليس باستطاعتنا رؤية اي شيء.»

«أرني المكان.» التفت نحو ضيوفه واعتذر منهم قائلاً:«اعتذر ياسادة.»

قال احد الرجال مشجعاً:«بالطبع ياسيد شوان، حاول مساعدته قدر المستطاع.»

قال شوان لسائقه: «سيريل، اتصل بالشرطة واطلب سيارة اسعاف فقط للضرورة. هل لديك مصباح وحبل؟»

«طبعاً ياسيدي.» اسرع السائق إلى صندوق السيارة وأخرج ما طلبه شوان كأنه كان مهيىء في حال حصول اي طارىء.

«تعال معي يابني لنرى ما في تلك الحفرة ونحاول مساعدة صديقك.»

الفصل الحادي عشر

عندما اقتربت فيليبا من الحفرة شاهدت بقايا مبنى مدمر وكومة من الأحجار وبقايا قرميد متكسر.

شرح احد اصدقاء الفتى بفخر واعتزاز:«هذا مخبأنا.»

«وماذا عن الحفرة عن الأسفل؟»سأله شوان.

«انها في الخلف. فنحن نخفي فيها حاجياتنا كي لايراها أحد، كما انها مغطاة بأغصان الأشجار إلا انه عندما اقترب تومي لإحضار غرض منها وقع فيها.»

تقدم شوان لينظر الى الاسفل ثم قال:«حسناً. الآن أود ان يذهب اثنان منكم ليرشدوا الشرطة إلى هذا المكان حين يصلون، أما أنتما فابقيا هنا لتحرسان المكان بهدوء.»

شعرت بيبا باعجاب لدى سماعها هذه الارشادات كما أشرقت وجوه الفتيان الأربعة عندما كلفوا بأمور هامة للقيام بها.

طمأنت بيبا الفتيان بقولها:«لاتقلقوا ياأعزائي، فسوف ينقذ هذا الرجل صديقكم لأنه كان شرطياً في كندا.»

نظر إليها الأولاد بتعجب مستعدين لتصديق أي شيء تقوله كما انها بدورها وثقت ان شوان هو الرجل الوحيد الذي باستطاعته انقاذ هذا الفتى الصغير.

www.elromancia.com

من الواضح ان هؤلاء الصبية قد جعلوا من المكان ملعباً لهم بالرغم من كثرة وجود الحفر الممتلئة بالمياه والوحول.

تقدمت بيبا من شوان وقالت:«كيف يبدو لك الأمر ياشوان؟»

نبرة الاهتمام التي تفوهت بها جعلته يلتفت اليها بدهشة. فقال لها:«لاأعلم، فقد كانت مغطاة وأزيل الغطاء عنها سهواً كما اعتقد. انها تمتلىء بالمياه في الأسفل.»

هتف بذعر:«يوجد مياه.. أتستطيع ان ترى الفتى؟»

عندما اقترب شوان من الحفرة كثيراً صاحت بيبا:«أرجوك انتبه ياشوان.»

تراجع الى الوراء قليلاً:«انه هناك على عمق عشرة أقدام، يجب ان أنزل لأنقذه لأنه إذا تحرك فسوف يقع إلى قعر الحفرة.»

اعترضت بخوف شديد:«لن تنزل إلى الأسفل، فماذا لو وقعت؟»

«يجب أن لا أقع،سأربط الحبل حول وسطي ولكن علينا ان نجد شيئاً متيناً لنربط به طرفه الآخر.»

«تمهل. من الأفضل ان انزل انا بدلاً منك.»

«كلا.»

«بل نعم، فأنا أخف منك وزناً وسيكون باستطاعتك أن تمسك الحبل بقوة.»

«لن أدعكِ تنزلين إلى الأسفل.»

اجابت بعناد:«ليس لدينا وقت للمناقشة.»

تردد لبعض الوقت ثم رضخ للأمر:«حسناً على كل حال فالحبل قوي سأربطه حول وسطك ولكن أرجوك ان تبقي ذراعيك إلى الأسفل وإلا ستنزلقين منه.»

اقترب منها لأول مرة منذ أسابيع وراح يلف الحبل بكل ثقة، فشعرت بخفقان قلبهاالقوي من شدة حبها له، لكن الوقت لم يكن مناسباً لتخبره بما تشعر به فقد يتحرك الفتى في اية لحظة ويقع.

جاء سيريل سائق شوان في تلك الاثناء وقال:«ستحضر الشرطة بعد قليل ياسيدي لكن لايجب ان تنتظروا قد تتأخر الشرطة في الوصول.»

«حسناً ياسيريل.» ثم التفت نحو بيبا وقال باهتمام واضح:« انتبهي يابيبا هناك اعمدة حديدية على جاني الحفرة ولكن لاتعتمدي عليها فقد تكون صدئة.»

«سأكون بخير ولكن انتبه للحبل أنت.»

أمسك يدها بيده ووعدها انه لن يتركها، فشدت على يده واحست بالحرارة تنتقل منه اليها. ارادت ان تضمه لكي تشعر بالامان اكثر، لكنها تركته ونزلت إلى داخل الحفرة المظلمة.

تساقط المطر بغزارة حتى أصبحت الحفرة موحلة أكثر، وصلت بيبا إلى مخبأ الاولاد فلمحت الألعاب البلاستيكية فرق قلبها وشعرت بحرقة كبيرة.

لم يكن عليها الاعتماد على الاعمدة فبلحظة واحدة انزلقت احداها ووقعت إلى الأسفل.

صرخ شوان قائلاً بأعلى صوته حين سمع الضجيج:«بيبا هل أنت بخير؟»

«نعم، وشكراً لأنك اثقل مني وزناً.»

وجهت بيبا المصباح فلمحت الفتى وسمعت أنينه ولكنها تذكرت كلمات شوان بأن حركة واحدة خاطئة قد ترسله إلى أعمق اعماق الحفرة.

اقتربت من الفتى ببطء وهدوء وأمسكته بذراعيها بشدة وقالت:«لقد أمسكته.»

قال شوان بسعادة:«حسناً لن يتطلب الأمر أكثر من دقائق.»

اجابته بصوت متعب:«أتمنى ذلك فالمطر يتساقط بغزارة على عنقي.»

ضحك شوان مدركاً محاولتها في تخفيف الأمر على نفسها، فقد مرّ هو نفسه بتجارب مماثلة من قبل. تذكرت هي ايضاً يوم زفافهما وأحاديث بول عن المخاطر التي تعرضوا لها، فكرت ان شوان لم يقصد الانتقام ساعة قرر الزواج منها وكان باستطاعته الانتقام عبر أمور أخرى، لقد تأكد لها ذلك من الطريقة التي كان ينظر اليها في هذه اللحظة.

خجلت بيبا من نفسها فقد كان من الممكن أن تصل إلى هذه النتيجة بسهولة. إذ ان شوان لم يقرّب جيريمي من لوسي بدافع من كرم اخلاقه، بل لابعاده عن طريقها، لكن غيرتها العمياء جعلتها لا تعي حقيقة الوضع.

وقررت انه وبعد خروجها من هذه الحفرة المخيفة سوف تقول له بأنها تحبه من كل قلبها وانها لاتستطيع العيش من دون وجوده الى جانبها.

بعد لحظات سمعت بيبا صوت سيارات الشرطة والاسعاف، فخاف تومي ولكنها أمسكت به بقوة وطمأنته بأن الأمر لن يطول لذا عليه عدم التحرك.

نادى شوان عليها يطمئنها:«بيبا لقد وصلت الشرطة، اصمدي.»

«جيد، لأنه بدأ يرتعش خوفاً.»

نادى الفتى بهلع شديد:«امي.»

طمأنته بيبا قائلة:«تمهل ياتومي ستأتي والدتك في الحال ولكن أرجوك، لاتتحرك.»

قال احد رجال الشرطة:«حسناً، لاعليكم سننزل إليكم.»

قال احد رجال الشرطة.

تجمع الكثيرون لمشاهدة مايحصل ولكن بيبا خرجت بسرعة ولم تكن في وضع يسمح لها لأن يلتقط احد المصورين صورة لها.

شعرت بارتياح كبير عندما اقترب منها أحد رجال الشرطة وساعدها في لف المعطف حولها، كما ساعد الفتى في الصعود إلى الحمالة لمعاينته ومن ثم نقل الى سيارة الاسعاف.

راحت بيبا ترتجف برداً فإذا بشوان يضمها الى صدره ويداعب شعرها بلطف بعد ان زال القلق الذي شعر به بشأنها طوال فترة مكوثها في الحفرة. ثم سألهابصوت حنون:«هل أنت بخير؟»

توسلت اليه قائلة:«فقط خذني إلى المنزل.»

كان سيريل قد تركهما قبل الآن ليوصل الرجلين الايطاليين إلى المطار، فتوقفت أمامهما سيارة شرطة وعرضت عليهما ان تنقلهما إلى المنزل.

ضحكت بيبا في نفسها عندما تذكرت ان والدة تومي لن تجد الأمر بالسوء الذي كانت تعتقده وقالت:«هذا الصبي سيلقى عقابه متى خرج من المستشفى.»

كانت سيارة الشرطة دافئة ومريحة بوجود شوان الى جانبها وهو يغمرها بذراعيه، وشعرت بأنها تحلم. هناك الكثير من الامور التي عليها ان تقولها له، لكن بوجود رجال الشرطة في السيارة معهما تمنعت عن الكلام في الوقت الحاضر. فالوقت امامهما طويل ولديهما كل وقت العالم.

وعندما وصلا الى المنزل، شعرت بيبا بتشنج في قدميها فما كان من شوان إلا ان حملها بين ذراعيه، ولم تعارض ذلك أبداً.

خرجت السيدة ميلر من المطبخ مسرعة حين سمعت الباب يفتح وقالت:«آه.. سيدة بيبا، سيد شوان لقد سمعت كل شيء في نشرة الأخبار، لقد نقل الفتى إلى المستشفى، ماذا كان يفعل في مكان كهذا؟آه... انظرا إلى ثيابكما الموحلة سأعد لكما فنجاناً من القهوة.»

«اعتقد ان كوباً من الشاي سيفي بالغرض اكثر، أليس كذلك يابيبا؟»

اجابته بصوت منخفض:«نعم من فضلك، بالإضافة إلى حمام ساخن.»

اجاب شوان وهو يصعد بها إلى الطابق العلوي:«طلباتك أوامر. سيدة ميلر أرجوك اعفينا من فضول الصحافيين وحوليهم إلى سكرتيرتي سأتصل بها وأعلمها بما ستقوله.»

نظر الى بيبا بحب وقال لها بصوت يملؤه الخوف والشوق:«هل باستطاعتك الصمود للحظة يابيبا سأتصل بالسكرتيرة قبل أن يزحف شارع فليت كله نحونا.»

«آه... أنا متأكدة انهم لن يفعلوا، ولكن افعل ما تراه مناسباً.»

نظر اليها مجدداً بحنان وحب وقال:«حسناً، لن أطيل غيابي عنك، سآتي لك بفنجان الشاي.»

دخلت بيبا الحمام وبدلت ثيابها الموحلة بثياب نظيفة، وراحت تغسل شعرها بالصابون وبالمياه الساخنة، إلى ان نسيت ظلمة تلك الحفرة الموحشة وغرقت في رائحة الصابون العطرة.

لقد بدلت تلك النظرة كل شيء بينهما، اليوم سيختلف كل شيء ولن يسيطر سوء الفهم عليهما كما حصل ليلة الزفاف في روما.

تذكرت قبلاته الأولى وتنهدت من كل قلبها متأكدة من ان السخرية من كونها زوجته ظاهرياً، ستنتهي قريباً ليبدأ حياة جديدة ملؤها العطف والحب.

«لقد جلبت لك فنجان الشاي الذي طلبته.»

ثم تابع متنهداً:«لاأعرف كيف تركتك تنزلين الى تلك الحفرة العميقة، لقد كانت أصعب لحظات حياتي.»

اجابته بسعادة:«ماكان يجدر بي تركك تفعل ذلك، فالحبل لم يكن متينا بشكل كاف لك.»

قبلها بحنان وقال معترفاً:«انك فتاتي الشجاعة الرائعة، كان علّي ان اعرف.فمنذ البداية أخذت كل عقلي وقلبي حتى صرت مجنوناً بك.»

اجابته:«اعتقدت انك كرهتني وعاملتني على انني مثل جدتي.»

«لقد كرهتك عندما تصورت انك ستتعالين عليّ، ولكن لم أفكر انك قد تؤثرين علّي بهذا القدر.»

قالت توضح له بصدق:«لست مثلها ولا مثل والديّ فقد كرهت تصرفاتهم مع غرامبس ومافعلوه مع المستثمرين.»

«لم يجدر بي اجبارك على الزواج مني ولكنني أردتك من كل قلبي وعقلي وخلتها الطريقة الوحيدة كي أجعلك تقبلين بي.»

لمست شعر رأسه مازحة ثم قالت:«لم أتزوجك لإنقذ والدي من مشاكله.»

امسك يدها ووضعها على وجنته وسألها:«ألم يكن لهذا السبب؟»

نظرت في عينيه وقالت:«كلا ولكني شعرت بشفقة كبيرة تجاه الذين خدعهم والدي فأنا بدوري كنت أستفيد من الأموال، طبعاً من دون أن أعلم ذلك.»

ضمها الى صدره بحنان وقال:«لم تكن غلطتك، وعلى كل حال، كنت سأشتري تلك الأسهم إن تزوجتني أم لا.»

«كنت ستفعل ذلك؟»

«أردت ان أكون عادلاً مع الجميع. فلو ورث تركة مورغن، كان هناك مشكلة.»

«لاتصدق ذلك، فلو ورث جورج، لكان بدّد كل أمواله أيضاً.»

«على كل حال لقد انقلب كل شيء لمصلحتي، بينما اعتقدت انت، لاخيار لك سوى الزواج مني.»

«لا، ليس الأمر كذلك.» نظرت في عينيه واعترفت قائلة:«لقد تزوجتك لأنني أحببتك.»

«أحببتني فعلاً؟»

«نعم، منذ اللحظة الأولى.»

نظر في عينيها بدهشة وقال:«لكني اعتقدتك مغرمة بذلك الأحمق جيرمي.»

«كلا، ليس صحيحاً.»

«لقد جننت لرؤيتك معه تلك الليلة في الحديقة وكدت أموت عندما سمعته يقول انه يحبك، قررت ان أعود إلى كندا وأبقى هناك حتى اللحظات الأخيرة حتى أفسح لكما المجال، ولكن عندما عدت ووجدتك تنتظرينني إزدادا أملي، لكنه عاد وخاب ليلة زفافنا عندما رفضتني.»

«لقد كنت خائفة.»

قال موضحاً:«أعرف ذلك ،ولكني فقدت صوابي عندما شعرت انه بالرغم من وجودك بين ذراعي فلا زلت بعيدة عني.»

«حصل ذلك، لأنني لم اعرف الحب من قبل.»

ضحك من كلامها واعترافها واحس بسعادة لاتوصف. فضمها مجدداً الى صدره وتنهد.

تنهدت هي بدورها قائلة:«أحبك ياشوان. لقد ندمت كثيراً لما حصل في ليلة زواجنا وعندما اظهرت لي البرود فيما بعد، اعتقدتك على علاقة مع لوسي.»

اعترف لها قائلاً:«لقد فعلت ذلك كي أجعلك تغارين بعدما علمت ان جيرمي مازال يحب لوسي وهي أيضاً، حاولت أن أغيظه ليضربني فتشفقين علي كما فعلت لوسي بجيرمي لكنني خفت أن ينقلب مخططي رأساً على عقب فلعبت دور البطل.»

«وهما الآن سعيدان.»

قال بحب:«وهكذا سنكون نحن أيضاً، أعدك انني لن أخذلك أبداً.»

اجابته بمثل لهجته:«لن أدعك تفعل ذلك طالما نحن على قيد الحياة.»

«أريدك أكثر مما أردت أي امرأة أخرى في حياتي، أحبك كثيراً.»

«وأنا أيضاً ياشوان... أحبك.»

تمت

www.elrmancia.com